الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique
Université Ain T'émouchent Belhadj Bouchaib
Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales
Département langue et lettre arabe

تيمة المدينة في الشعر الجزائري القديم

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص:أدب جزائري

من إعداد الطالبتين:

قيطوني سناء
غالم حياة

إشراف الأستاذة

د. آمنة بن منصور

اللجنة المناقشة المكونة من الأعضاء الآتي ذكرهم:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
بلوافي حليمة	أستاذة تعليم العالي	جامعة بلحاج بوشعيب	**رئيسا**
بن منصور آمنة	أستاذة تعليم العالي	جامعة بلحاج بوشعيب	**مشرفا، مقررا**
بصالح خديجة	أستاذة تعليم العالي	جامعة بلحاج بوشعيب	**ممتحنا**

السنة الجامعية2023/2022

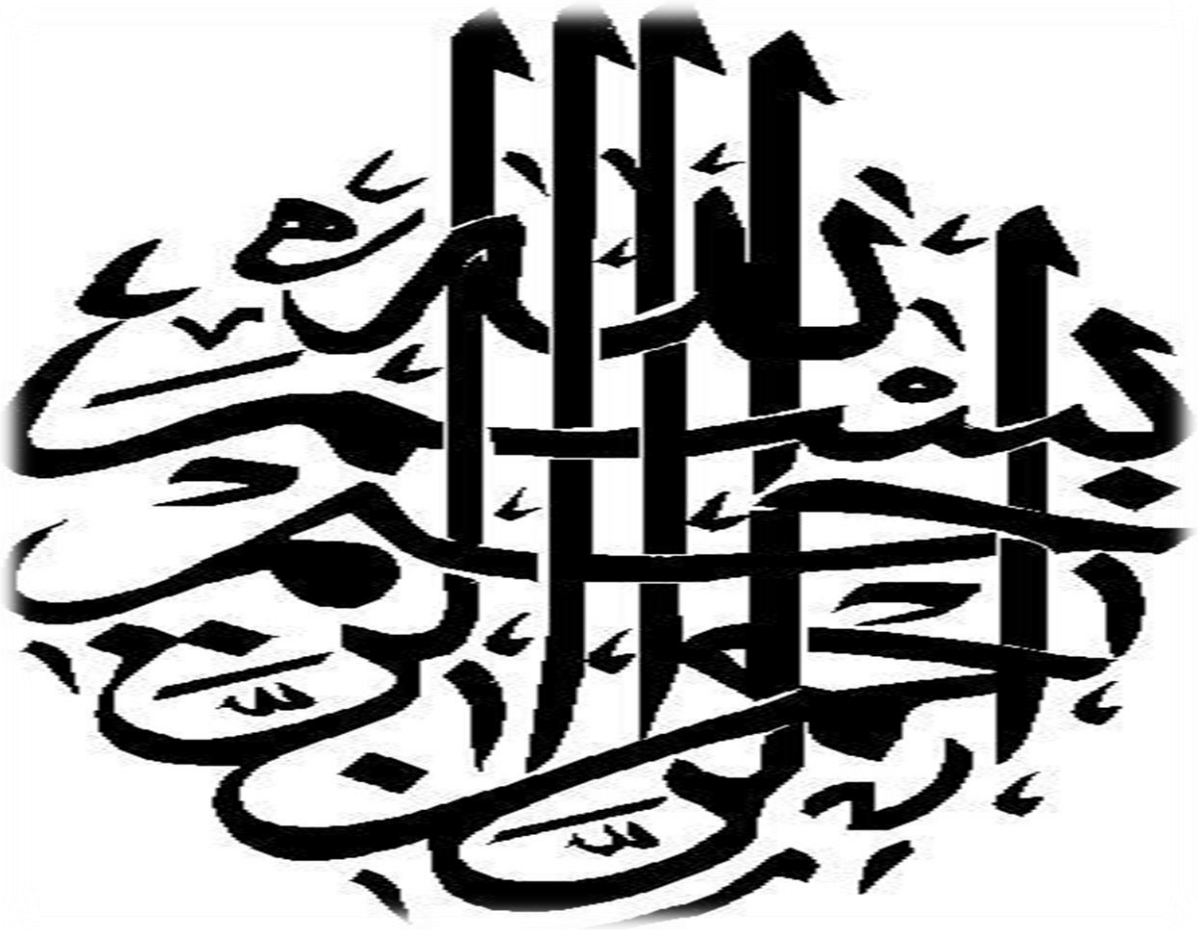

الاهداء 1 :

لوالدي الكريمين و عائلتي و إلى كل أساتذتي الذين أشرفوا على تكويني من الطور الإبتدائي إلى طور الماستر أهدي هذا العمل.

حياة

الاهداء 2

اولا لك الحمد ربي على كثير فضلك و جميل عطائك و جودك ، الحمد لله ربي و مهما حمدنا فلن نستوفي حمدك و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

الى ذلك الحرف اللا متناهي من الحب و الرقة و الحنان ، الى التي بحنانها ارتويت و بدفئها احتميت ، و بنورها اهتديت و ببصرها اقتديت ، الى من يشتهي اللسان نطقها ، و ترفرف العين من وحشتها ، و التي كانت تتمنى رؤيتي و انا احقق هذا النجاح ، و شاء الله ان يأتي هذا اليوم ، اهدي هذا العمل الى أمي

الى درعي الذي به احتميت ، و في الحياة به اقتديت ، و الذي شق لي بحر العلم و التعلم ، الى من احترقت شموعه ليضيء لنا درب النجاح ، ركيزة عمري ، و صدر امالي و كبريائي و كرامتي ، أبي اطال الله في عمره و رزقه الصحة و العافية .

الى من يذكرهم القلب قبل ان يكتب القلم ، الى من قاسميني حلو الحياة و مرها تحت السقف الواحد ، اخوتي : أحمد ، عماد ، فيصل .. الى اخواتي : نجوة ، نسرين ، الى الكتاكيت : لينة و ادم

الى من تحييني بسمتها و تميتني دمعتها ، الى مسك الى مسك البيت جدتي "كريمة" اطال الله عمرها .

الى والدي الاخرين ، والدي زوجي ، حفظهما الله الى قرة عيني ، زوجي محمد رعاه الله الى اخوة زوجي : سعاد، نصر الدين،احلام،صارة

إلى كل أساتذتي الذين أشرفوا على تكويني من الطور الإبتدائي إلى طور الماستر أهدي هذا العمل

سناء

الشكر و التقدير

إن الحمد والشكر لله رب العالمين الذي أهدانا من العلم والمعرفة والصحة لإنجاز هذا العمل المتواضع وعرفانا بالجميل اتجاه من ساهم من قريب أو بعيد في إتمام عملنا نتقدم بالشكر الجزيل إلى :

الأستاذة المشرفة **"أمينة بن منصور "** الذي ساعدنا في مواجهة العقبات التي اعترضتنا ،كما لم يبخل علينا بالمعلومات والكتب التي دعمتنا في عملنا.

مـــــقدمـــــة

مقدّمة :

يعمد الكثير من الدّارسين للشعر الجزائري إلى التقسيم التاريخي للظاهرة الشعرية الجزائرية ، على إعتبار أن الشّعر يخضع حتما للتاريخ في تصنيف ظواهره الفنّية والفكرية ، من هؤلاء الدّارسين من يهمل القديم بحجّة قلته أحيانا وضعف بعضه أحيانا أخرى . ومنهم من يقبل عليه إقبالا قويّا لكنه يصطدم بعدم جمع مادّته وتصنيفها وتحقيقها ، إذ لا يزال التراث الجزائري ينتظر في معظمه التحقيق والتصنيف والدّراسة، ومهما يكن من أمر لا ينبغي لنا إقصاء وتجاهل هذه المرجعية الثقافية ، لأنها تكشف عن هوية الأدب العربي في الجزائر .

فالحديث عن الشعر الجزائري القديم من النّاحية التاريخية يدفعنا للتعرف على تراث دفين له مميزات تحفظ بقاءه .

وعليه لا ينبغي أن ننطلق من أقرب فترة ، أي من فترة النّهضة العربية الحديثة أو من فترة الحركة الاستعمارية بشكل عام ، وإنما يكون من الإنصاف لهذا الأدب أن نؤرّخ له منذ عصوره الغابرة شأنه شأن التّأريخ للأدب في المشرق العربي . إن الباحث في جذور هذا الشعر سيقف على نتاج متنوّع حسب البيئة التي احتضنته وحسب المرحلة الحضارية التي أنتجته.

ينبغي أن نشير إلى أن المدينة في العصور القديمة لم يكن لها قرار من قبيل التكوين الذي تعرفه طبيعة المدينة من حيث التشكّل و الظهور. فكل ما جسّده الشّاعر القديم في شعره كان تعلقا بالمكان والبيئة التي عاش فيها.ولم يعش الشاعر الجاهلي في المدن ولم يعرفها بل كان يعيش في البوادي ، فالمدن بدأت تظهر فيما بعد وبالخصوص في الفترة العباسية وما بعدها من مراحل . فكان أن بدأت تظهر المدن الحضارية وبالتالي استقرار العديد من الشعراء العرب في المدن . فكان أن كتبوا عن المدينة وما يتعلّق بها لكل مظاهر الحياة .

وعموما فالمدينة من منظور مادي وحضاري لم تكن معروفة لدى الشّاعر الجاهلي ولا هو عاش فيها .فكل ما كتبه كان من منظور تعلقه بالمكان. غير أنّه ومع بروز وظهور المدن بدأت تظهر لدى الشعراء العرب قصائد تتناول المدينة كموضوع .

وعموما فقد كانت المدينة في نظر الشعراء الفضاء الذي رسمت فيه كل محطات حياته ، لذلك تعلّق بها وأحبها وتفاعل معها بكلّ وجدانه غير أن خير جميل ردّه اليها هو أنّه خلّدها في أشعاره .

وبذلك قد نكون مهدنا لموضوعنا المعنون بدراسة : "تيمة المدينة في الشعر الجزائري القديم، قراءة في الجماليات والدّلالات" ، والأهمية من هذه الدراسة في استجلاء إرث أدبي و حضاري عريق، لم يرتشف منه الباحثون إلا النزر القليل من خلال دراسة النصوص الشعرية الجزائرية القديمة وإثراء ثقافتنا.

ويتجلى الهدف من هذه الدراسة في إضافة لبنة علمية جديدة إلى صرح الشعر الجزائري القديم خاصّة جماليات ودلالات المدينة فيه .

وإذا كان لكل دراسة أسباب ودواع ، فان هذا البحث بدوره كان وراء اختياره ما يبرّر الاشتغال به من أسباب ذاتية وموضوعية ، منها :

-رغبتنا في خدمة تراثنا الجزائري القديم .

-إنارة السبيل للباحثين الذين يأتون بعدي .

-الإسهام في ترقية الدراسات الأدبية والحضارية .

الإشكالية :

لقد تمحورت إشكالية هذا الموضوع حول دراسة أثر المدينة في الشعر الجزائري القديم من ناحية الجماليات والدلالات ، حيث تثار عدّة أسئلة في هذا المقام، منها :

- ماهي مراحل تطور الشعر الجزائري القديم ؟

- ما هو تأثير المدينة على الشعر العربي القديم و المعاصر ؟

- كيف أثرت رمزية المدينة و دلالتها على الشعراء الجزائريين القدامى من حيث الأغراض ؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات ، قسّمنا هذا الموضوع إلى :

مقدّمة ، ومدخل وفصلين ، ثم خاتمة .

فكان المدخل بعنوان : مدخل إلى الشعر الجزائري القديم ، حيث تناولنا فيه المفاهيم اللغوية و الاصطلاحية للفظتي التيمة والمدينة بهدف التمهيد لضبط علاقة التفاعل بينهما .

ولقد وقفنا في الفصل الأول عند تأثير المدينة في الشعر العربي القديم والمعاصر ، حيث تم تقسيمه إلى مبحثين ، تحدثنا في المبحث الأول عن المدينة في الشعر العربي القديم إذ شاهدت هذه الفترة أغراض شعرية مع الشعراء العباسيين منها الوصف والتغني ، كما شاهدت أغراض أخرى مع الشعراء الأندلسيين منها التغني والشوق والحنين والرثاء إذ أننا استشهدنا في كل غرض منها بمختارات شعرية عربية قديمة مفعمة بعواطف شعرائها .أما المبحث الثاني فعنوناه بالمدينة في الشعر العربي المعاصر ما يميزه هو غلبة بعض الموضوعات عليه وتعتبر المدينة من أبرز المواضيع التي لا نجد شاعرا إلا و قد تطرق إلى هذا الأمر، و هنا كذلك استشهدنا بأبيات شعرية حول المدينة والريف .

وخصّصنا الفصل الثاني لدلالة المدينة ورمزيتها في الشعر الجزائري القديم ، فقد اخترت مجموعة من أعلام الشعر الجزائري القديم من مختلف المدن ، و بعض مقطوعاتهم الشعرية في أغراض مختلفة كلّ حسب إبداعه .

ثمّ ديّلنا البحث بخاتمة كانت عبارة عن خلاصة لأهم النتائج المتوصّل إليها .

وكان اعتمادنا في هذا البحث على مقاربة تكاملية بين المنهج التاريخي واليات الوصف والتحليل والاستنتاج في محاولة لاستجلاء عملية التفاعل بين الشعر الجزائري القديم وتيمة المدينة آنذاك واستنباطها من النصوص الشعريّة .

وقد أفدنا في هذا البحث من الدراسات السابقة التي كان لها الفضل الكبير في إماطة اللثام عن الشعر الجزائري القديم ، وأهمها :

-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي .

-مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر .

- عبد الوهاب المنصور ، المنتخب النفيس من شعر أب عبد الله إبن خميس

ومن الصعوبات التي تجشمنا عنائها – من دون أن تثبط عزيمتنا– هي قلّة المادّة العلمية التي عادة ما تكون ممهّدة للطريق منيرة للدّرب وبخاصّة في الحقل المعرفي الذي يجمع بين ثلاثية الأدب والشعر والمدينة .

وفي الختام ننوّه بجهود السيدة المشرفة " د. امنة بن منصور " في توجيهاتها التي أضاءت هذا العمل موجهين إليها جزيل الشكر والعرفان، كما نتقدّم بالشكر الخالص للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تجشمهم عناء تصويب هذا البحث .

قيطوني سناء – غالم حياة

2023/09/15

عين تموشنت

مدخل

(مدخل الشعر الجزائري القديم)

حفل التراث الجزائري بصنعة الكتابة ، و رفع لوائها أدباء خاضوا في انشاء القريض خوضهم في الدّباجة النثرية العربية بنسقها الموكول الى عصرها، من حيث طرائق الصوغ الفني في صناعة الكتابة.

و الحديث عن الأدب الجزائري لا ينبغي أن ينطلق من أقرب فترة ، أي من فترة النهضة العربية الحديثة ، أو من فترة الحركة الاستعمارية بشكل عام ، وانما يكون من الأنصاف بهذا الأدب ، أن نؤرخ له منذ عصور غابرة، شأنه شأن التأرخة للأدب في المشرق العربي.

ولاشك أن الباحث في جذور هذا الأدب سيقف لا نتاج متنوّع، و يجمع بين التركة الأدبية و التركة اللّغوية في مسيرة متأنية ، حسب البيئة التي احتضنت هذا الأدب و حسب الذهنية المنتجة. لا نبالغ اذا قلنا اننا لم نكن أقلّ شأنا من المشارقة في فضاء الأدب، و لا نبالغ اذا حكمنا على موروثنا الأدبي في الجزائر بأنّه ذلك الشّبح الذي يتوارى كلّما حاولنا الاقتراب منه ، و نفض الغبار عنه ،و العلّة في ذلك تكمن في التهميش من جهة ، و في قلة المصادر ، ان لم أقل غيابها، من جهة أخرى .

لقد وجد الأدب العربي في الجزائر منذ القديم ، كما وجدت الذات الجزائرية على هذه الأرض، و رافق ما تمخض عنه التاريخ في ايجابيات و سلبيات ، فاختلط الأصيل بالوافد، و هو الاشكال الذي يواجه الباحث في الأدب الجزائري القديم، فكثيرا ما قطن الجزائر أدباء و علماء من بلدان مختلفة، كالمغرب و تونس و الأندلس، و استوطنوها طوال حياتهم، و انصهروا في مناخها، و أثّروا و تأثروا بحياتها العلمية و الأدبية ، فكان النتاج متشابكا متداخلا ، يتطلب كثيرا من الدّقة للفصل بين الأصيل و الوافد.

و اذا كان المعلوم أنّ " الكمال انّما يتحقّق في الماضي " كما قال أبو عمرو بن العلاء، فانّ أدبنا برهن حسب ذهنيات أصحابه على أنه مرجعية ثقافية مميّزة، لا يمكن تجاهلها ، حتّى و ان زهد الباحثون في الاهتمام بها . و سأحاول تتبع محطّات هذا الأدب حتّى يتسنى الانطلاق من قاعدة صلبة، تجلو هوية الأدب العربي في الجزائر. و لن يتم ذلك الاّ برصد نماذج من أبنية نصّية متنوّعة .

الدّولة الرّستمبة :ظهر أوّل جيل من الأدباء الجزائريين على عهد الدّولة الرستمية (160-299هـ ، 676-911م) . و كانت عاصمة الرستميين مدينة تيهرت ، المعروفة باسم " عراق المغرب" أو "بلخ المغرب"[1] و قد شهدت انتشار المعرفة بها و ازدهارها .

[1] الأبلخ : هو العظيم في نفسه ، الجريء على ما أتى من الفجور، ينظر محمد بن منظور ،لسان العرب مادّة(بلخ) ،جزء3،ص

و من الشخصيات البارزة في هذا الطور :

1-الامام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان ، الذي ترك خطبا و رسائل ذات طابع سياسي ديني ، بالاضافة الى مقتطفات شعرية كقوله مثلا :

العلم أبقى لأهل العلم اثارا يريك أشخاصهم روحا و أبكارا حتّى وان مات ذوعلم و ذو ورع مامات عبد قضى من ذاك أوطارا[1]لله عصبة أهل العلم ان لهم فضلا على الناس غيابا و حضارا[2]

2- أبو سهل، و له مصنفات احترقت في الفتن التي أصيبت بها تيهرت في أواخر الحكومة الرستمية.

3- أبو الفضل أحمد بن القاسم البزار .

4- ابن الصّغيرالذي خلّف كتابا تراكيبه أقرب من العامية منها الى الفصحى .

5- يهودى بن قريش التاهرتي و هو واضع أساس النحو التنظيري ، و قد اهتمّ بالبحث في اللغات (العربية و العبرانية و البربرية و الارامية).

6- أحمد بن فتح التاهرتي: انتقل الى المغرب الأقصى و كان أديبا و شاعرا ، و من شعره : " ساكنات البصرة" :[3]

ما حاز كلّ الحسن الا قينة بصرية في حمرة و بياض

7- بكر بن حمّاد : ولد بتيهرت سنة (200 هـ / 816 م) و كان حافظا للحديث و نابغة في الشعر ممّا جعله يصاحب أدباء تصدّروا الطليعة في ميدان القريض كأبي تمّام ، و دعبل الخزاعي ، و علي بن الجهم ، و مسلم بن الوليد .

خلف الرّجل ديوانا شعريّا بعنوان " الدر الوقاد " ، و تزعّم الحركة الزهدية في الأدب المغاربي، كما كان يتزعمها أبو العتاهية في المشرق .

و من شعره في الزهديات :

[1]:أوطارا، مفرد وطر، حاجة و غرض

[2]:أوطارا، مفرد وطر، حاجة و غرض

[3]محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص30.

لقد جمحت نفسي فصدّت و أعرضت وقد مرقت نفسي،فطال مروقها

فيا أسفي من جنح ليل يقودها و ضوء نهار لا يزال يسوقها

الى مشهد لا بدّ لي من شهوده و من جزع للموت سوف أذوقها

ستأكلها الديدان في باطن الثّرى و يذهب عنها طيبها و خلوقها[1]

و من شعره في رثاء ولده :

بكيت على الأحبّة اذ تولو و لو أنّي هلكت ، بكوا عليا

فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا و فقدك قد كوى الأكباد حيّا

كفى حزنا بأنّي منك خلو و أنّك ميّت و بقيت حيّا

ولم أك أيسا فيأست لما رميت الترب فوقك من يديا[2]

خلص الى أن ميلاد الأدب العربي في الجزائر كان مع أمراء بني رستم ، و أنّ أوّل دولة جزائرية مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد ، بعد اعتناق الجزائريين الاسلام، كان قادتها مثقفين ، متعلّمين بل أدباء مبدعين [3]

و الجذير بالذكر أن الدّولة الرستمية تمثّل صدر الاسلام بالجزائر (القرن الثاني هجري /الثّامن الميلادي). مؤسّسها عبد الرحمان بن رستم عاشق المذهبالاباضي الذي كان داعيته سلامة ابن سعد . و عبد الرحمان بن رستم بن بهرام بن كسرى من سلالة الفرس، ولد بالعراق، في البصرة ، و فيها التقى التلاميذ من بلدان مختلفة(القيرواني ، و المغربي ، و العماني، و اليمني ، و الحجازي ، و غيره) ، يدرسون جميعا على يد الشيخ أبي عبيدة مسلم ، المعروف ب : "القفاف" ، و ذلك لتظاهره بصناعة "القفاف " أثناء القاء دروسه السرّية المحضورة و تظاهر تلاميذه بتعلّم الصنعة منه .

كان عبد الرحمان بن رستم رجل علم ،و أحد حملة ذلك العلم من البصرة الى المغرب العربي المتعطش الى العلم و المعرفة .و على نفس الطريقة سار ابنه الامام الأفلح بن عبد الوهاب ، المذكور أنفا.

[1] المرجع السابق ، ص 36.

[2] بكر بن حماد التاهرتي ، الدر الوقاد ، تقديم و جمع و شرح محمد بن رمضان شاوش، ط1،المطبعة العلوية،مستغانم،1966،ص87.

[3] عبد المالك مرتاض ،الادب الجزائري القديم: دراسة في الجذور، دار هومه،ص71.

لقب عبد الرحمان بن رستم بصقر فارس مثل عبد الرحمان الدّاخل الذي لقّب بصقر قريش [1] . بقي أن نشير الى أن عبد الرحمان بن رستم هرب من بطش العباسيين ، فغادر تونس الى الجزائر و أسّس بها أوّل دولة مستقلة .كما سبق الذكر .

نختم عهد بني رستم بخاتمة الشاعر بكر بن حمّاد . يحكى أنه لما أشرف على الموت ، حاول النهوض فعجز ، فقال متألّما :

أحبو الى الموت كما يحبو الجمل قد جاءني ما ليس لي فيه حيل توفي بكر بن حمّاد سنة (296هـ/907م) شمال مدينة تيهرت .

فترة الأغالبة :

بعد الفترة الرستمية، ننتقل الى فترة الأغالبة (184-296هـ/296-800م). اتّخذ الأغالبة "طبنة" ،الواقعة وسط اقليم الزاب الجزائري عاصمة لحكمهم، و أصبحت "طبنة " قاعدة الجزائر الشرقية في الحركة العلمية و الأدبية (...) و يجدر بالتسجيل أن الفقه طغى على الفنون الأخرى بحيث نجد الفقهاء أكثر عددا من الأدباء ، و هؤلاء أنفسهم لهم المام كبير بالفقه لأن الحالة الاجتماعية كانت تدعو الى تعاطي العلوم الدّينية أكثر من سواها[2]

و من الأسماء البارزة على عهد الأغالبة محمد بن حسين الطبني ، و أحمد و علي و هما اخوة .كان الأول منهما "أديبا بليغا و شاعرا مقدما قصد الديار الأندلسية و دخل قرطبة في عهد الناصر و سكنها"[3].

و ممّا قاله في وصف ربوع خلت من أحبابه :

و أصبحت بعد أشواق ربوعهم مثل سطور اذا ما رثت الكتب

فقرا يبابا ،كأن لم تغن أهلّة تبكي على حتفها غربانها النعب

كأن باقي مغانيها و أرسمها منابر نصبت و الطير تخطب [4]

[1] ينظر بحاز ابراهيم : عبد الرحمان بن رستم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990،ص18.

[2] محمد طمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص43.

[3] المرجع نفسه ، ص47.

[4] المرجع السابق ، ص48.

و ظهر اسحاق الملشوني ، نسبة الى "ملشون" و هي قرية من قرى بسكرة ، و أبو الفضل عطية الطبني ، و أبو العباس محمد البريدي المتوفّى سنة 276هـ ، و هو أحد كتّاب الدّولة الأغلبية (11) ، و أحسن ظرفائها ، و من شعره و هو في السجن :

هبني أسأت ، فأين العفو و الكرم قد قادني نحوك الاذعان و الندم يا خير من مدّت الأيدي اليه أمّا ترثي لمن بكاه عندك الادعان و الندم **بالغت في الصحف،فاصفح صفح مقتدر ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا**[1]

الفترة الفاطمية :

بعد الأغالبة ، نشط الفاطميّون (296-361هـ/909-972م) و اتخذوا من "المسيلة" عاصمة لهم ، فقصدها أرباب الثقافة من كلّ فوج و صوب . والفضل في ذلك يرجع الى مؤسّسها و واليها علي بن حمدون [2]

يمثل هذه الفترة خير تمثيل الشاعر الكبير بن هانئ الأندلسي الذي هاجر الى المغرب و بالذات الى منطقة الزاب . و من شعره في الأمير جعفر بن علي :

خليلي، ما الايام الا بجعفر و ما الناس الا جعفر،دام جعفر

و قوله في يحيى :

فلا تسألاني عن زماني الذي خلا فوالعصر،اني قبل يحي لفي خسر[3]

الفترة الصّنهاجية (405-547هـ/1014-1153م) :

زعيم الصنهاجيين بلقين بن زيري بن مناد ، كان واليا على الجزائر ، و استطاع أن يحقق للمغرب العربي مالم يستطعه حكام المغرب قبله وواصل المشوار بعده ، ولده المنصور و بعد المنصور ، بويع ابنه باديس ، فكلّف عمّه حماد بن بلقين بادارة أمور المغرب الأوسط. و لم يلبث أن أصبح حماد صاحب النفوذ المطلق بالجزائر و غدت

[1] مؤسس دولة الأغالبة : ابراهيم بن سالم التميمي .

[2] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1986، ط2، ص105.

[3] المرجع السابق ، ص61.

الدولة الحمادية أوّل دولة بربرية بالجزائر الاسلامية ، و كانت عاصمتها القلعة. و كانت العربية هي اللسان الرّسمي للدولة الحمادية مع أن رؤسائها برابرة لكون العربية لغة القران و الدّين [1]

و قد ازدهر الأدب في فترة الحمّاديين من حيث الكم ، و أمّا من جهة الكيف فظلّ يتّسم بسيمات المدرسة الشرقية ، و ان كان قد ضاع نتاج هذه الفترة بسبب الاضطرابات ، الا أن هناك رجالا جزائريين عاشوا في تونس وصل الينا شيء من اثارهم الأدبية .

و من هؤلاء :

1-أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني ، و من شعره :

خليلي ان لم تساعداني فاقصرا فليس يداوى بالعتاب المتيّم

تريداني مني النسك في غير حينه و غصني ريان و رأسي أسحم[2]

2- ابن رشيق القيرواني : لقب بالقيرواني لطول مكوثه بالقيروان، و قد خلّف ما يربو على ثلاثين كتابا، منها " الشذوذ في اللغة " ، و "العمدة "، وهذا الاخير كتاب نقدي متصل بقضايا الشعر .

و الجدير بالذكر أن ابن رشيق كان اول شاعر جزائري نظم في المجون و الخمريات ، و نحا نحو أبي نواس . و لابن رشيق كتاب هام عنوانه : "أنموذج الزمان في شعر القيروان" . و لفظ "الزمان" في هذا الكتاب يعني أن ابن رشيق قد خصّص كتابه للشعراء و الأدباء المعاصرين لعهده، و الذي كان يعجّ بالكثير منهم بلاط معز ابن باديس الصنهاجي.

و من شعره في رثاء القيروان :

أمست و قد لعب الزمان بأهلها و تقطعت بهم عرى الاقران

فتفرّقوا أيدي سبأ و تشتّتوا بعد اجتماعهم على الأوطان[3]

[1] المرجع نفسه ، ص71.

[2] مؤسس دولة الأغالبة : ابراهيم بن سالم التميمي .

[3] المرجع نفسه ، ص318.

3- عبد الكريم النهشلي : هذا الناقد الجزائري هو أستاذ الحسن بن رشيق القيرواني ، و هو كاتب و شاعر بارع ، ولد بالمحمّدية التي نسميها اليوم "المسيلة" ، و رحل الى القيروان و اشتهر بكتاب في النقد عنوانه : "الممتع" طرح فيه قضايا هامّة كمسألة القديم و الجديد و مسألة اللفظ و المعنى ،و السرقات الأدبية ، و الطبع و الصنعة .

4- ابن قاضي ميلة : شاعر انتهج منهج عمر بن أبي ربيعة في الغزل فاعتمد الحوار القصصي في شعره . يقول في أحد المطالع :

بذيل الهوى دمعي و قلبي معنّف[1]

5- ابن الربيب : كتب في النثر و الشعر ، و رسالته عن ابن حزم الأندلسي أكبر شاهد على تفوّقه في النثر الفنّي . كما تدلّ هذه الرسالة على أن الجزائريين كانوا على بيّنة من أخبار الملوك و الأمراء و الكتّاب و الوزراء .

6- يوسف أبو الفضل بن النحوي : تفنّن في شعر التوسّلات و الابتهالات و اشتهر بقصيدته المعنونة ب: "المنفرجة" . و من حلو شعره :

لبست ثوب الرّجاء،والناس قد رقدوا وقمت أشكوا الى مولاي ما أجد و قلت:

ياسيدي،يا منتهى أملي يا من عليه بكشف الضر أعتمد

أشكوا اليك أمورا أنت تعلمها مالي على حملها صبر و لا جلد

وقد مددت يدي للضر مشتكيا اليك يا خير من مدّت اليه يد[2]

7- أبو عبد الله بن محرز بن محمّد الوهراني : بذكر الوهراني نتذكّر بديع الزمان الهمداني. لقد شكّل الوهراني ظاهرة فريدة بالأدب الجزائري على عهد الموحّدين و انتهج منهجا هزليا في أدبياته. من اثاره : "رسائل الوهران" ، و "جليس كل ظريف" ، و "المنامات" .

و على ذكر "المنامات" ، اشتهر الوهراني ب "منامه الكبير" الذي سلك فيه مسلك أبي العلاء المعرّي في "رسالة الغفران".

[1] محمدالطمار،تاريخ الأدب الجزائري ، ص90.

[2] رابح بونار،المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ص271.

و الكناب مطبوع في مصر، سنة 1968 بعناية و تحقيق ابراهيم شعلان و محمد نغش . و الذي يطالع اثار الوهراني تبدو له براعته في التهكم و التصوير الهزلي ، و قد يصنف ادبه ضمن الفن الكاريكاتوري . و توفي الوهراني عام 575هـ.

الفترة الحفصية (943-627هـ/1229-1526م) :

من الاسماء البارزة في هذه الفترة :

1- محمد بن الحسن القلعي : كان شاعرا سخي الدمع، سخي الجيب، و يده و يد الطلبة في كتبه سواء ، لا مزية له عليهم ، كان جيد الشعر ، يسلك فيه مسلك ابي تمام . من شعره في الزهد :

تنافس الناس في الدنيا و قد علموا ان المقام بها كاللمح بالبصر افناهم اولاهم و اخرهم لم يبق منهم سوى الاسماء والسير [1]

2- احمد ابي القاسم الخلوف : شاعر الحفصيين دون منازع . انتقلت اسرته من فاس الجزائر و استوطنت قسنطينة و بها ولد سنة 229هـ /1465م. له ديوان شعري خاص بالمديح النبوي . وله كتاب : "تحرير الميزان لتصحيح الاوزان في العروض " ، و كتاب : " مواهب البديع في علم البديع ". عرف الخلوف ب " ذي الصناعتين " لاشتهارته بجودة الشعر و النثر .

دام حكم الحفصيين 378 سنة ، و قد قال ابو الحسن عندما دارت به الدائرة مع نهاية الحكم :

و كنا ، اسودا و الرجال تهابنا اتانا زمان فيه نخشى الارانبا [2]

مع القرن السابع الهجري بدا الاندلسيين في الهجرة الى الجزائر ، و كان حظ تلمسان من المهاجرين الاندلسيين اوفر من غيرها ، فكثر النتاج الادبي ، و ازدهر فن التوشيح الذي تعود اصوله في الجزائر الى القرن الخامس الهجري مع الشاعرين الكبيرين الاريسي و ابن الفوكون . و اما في القرن السابع ، فاشتهر شمس الدين محمد العفيف التلمساني المعروف بالشاب الظريف . توفي و عمره سبع و عشرون سنة .

[1]:ينظر محمد الطمار ،تاريخ الادب الجزائري ،ص147.

[2]عبد الله حمدي، دراسات في الادب المغربي القديم،دار البعث، ط1،1986،ص107.

له ديوان شعر و مقامات العشاق . و من موشحاته :

قمر يجلو دجى الغلس بهر الابصار مذ دهرا [1]

في اواخر القرن السابع هجري ولد الشاعر محمد ابن خميس بتلمسان سنة (58هـ/1252م) . و كان صاحب براعة في التعبير و مثانة في السبك . و من اخر اقواله :

لمن المنازل لا تجيب هواها محيت معالمها و صم صداها[2]

من حكمه :

و ان ظلمت فلا تحقد على احد ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

يابى ثراء المال علمي و هل يجتمع الضدان علم و مال؟[3]

توفي الشاعر قتيلا يوم عيد الفطر سنة(1309)هـ ، و ذلك بعد الانقلاب الحكومي الذي اودى بصديقه الوزير ابي عبد الله الحكيم ، و رمي الشاعر بباب الفخارين .

و عرف الادب الجزائري القديم شعر التصوف (حب الحقيقة و الفناء في حب الله) . و من شعراء الصوفية في الجزائر انذاك ابو مدين بن شعيب ، الذي " ولد باشبيلية ، و تعلم بفاس ، ثم حج ، و عند اوبته توطن بجاية . توفي قرب تلمسان سنة (594هـ) و دفن بقرية العباد بتلمسان و ظريحه بها مشهور مزار " [4]

من حلو شعره :

[1] محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري،ص157.

[2] المرجع نفسه، ص 197.

[3] المرجع السابق ، ص180.

[4] مختار حبّار، شعر أبي مدين التلمساني،مطبعة اتحاد كتاب العرب،دمشق،2002،ص9.

لالطافك الحسنى مددت يد الرجا وحالي كما تدري،وأنت المؤمل قصدتك ملهوفا فؤادي لما طرا

وانت رؤوف محسن متفضل[1]من شعراء الصوفية ايضا الشاعر ابو حمو موسى الثاني الذي عرف بشعر المولديات (الاحتفال بليلة المولد النبوي) . و من اشهر مولدياته (سنة 760هـ) :

نان الاحباب و لم تنم عيني بمصارعة الندم[2]

فترة المرينيين :

و مع انتقال الحكم مع المرينيين من (647-814هـ) ، برزت اسماء جديدة كالمليانى و هو اديب شاعر . توفي عام (715هـ-1315م) . و من شعره :

العزما ضربت عليه قبابي و الفضل ما اشتملت عليه ثيابي [3]

و برز محمد بن مرزق الخطيب ، و احمد بن قنفد القسنطيني ، صاحب الرحلة المشهورة : " انس الفقير و عز الحقير " . طبعت هذه الرحلة بالرباط سنة 1956 م . و له كتاب الوفيات

فترة الجزائر العثمانية (930-1246هـ/1514-1830م)

كان الاتراك رجال حرب ، و ليس رجال ادب لذلك لم يهتموا برجال الثقافة . و سرى الضعف في مفاصل الادب على عهدهم ، فغلب عليهم طابع الجفاف . و لم يظهر ادباء حقيقيون الا في القرن الحادي عشر ، و منهم :

1- احمد المقري الذي ولد في تلمسان سنة 986هـ ، و خلّف ثروة أدبية منها " أزهار الرياض " و "نفخ الطيب"

و من جميل شعره :

لكن قدرة مثلي غير خافية و النمل يعذر في القدر الذي حملا [4]

و من روائعه أيضا :

---

[1]المرجع نفسه ، ص130

[2]محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص213.

[3]المرجع السابق ، ص252.

[4]المرجع نفسه ، ص 295.

فقل لجديد العيش لا بد من بلى و قل لاجتماع الشمل ، لابد من شت هو القدر الجاري على الكره و الرضى فصبرا وتسليما لماقدر الله[1]

و في موضع اخر قال :

سبحان من قسم الحظو ظ، فلا عتاب ولا ملامة [2]

2 – عبد الكريم بن محمد الفكون :

عاصر هذا الأديب الرجل السابق ، أحمد المقري . و من مؤلفات عبد الكريم، رسالة من نوع الاخوانيات و شرح على أرجوزة "الماكودي" في التصريف و جزء في تحريم الدخان . توفي الفكون سنة 1073هـ/1663م.

عصر الدّايات :

لعل أوسع حركة أدبية شهدها عصر الدايات بالجزائر ، هو عصر الدّاي التاسع المدعو : محمد بكداش الذي تولى السلطة عام 1707م ، ثمّ أزيح عنها عام 1710م (قتلا) . و قد رفع الأدباء اليه قصائدهم مادحين .

كان هذا الدّاي عالما فقيها ، مشاركا في عدّة فنون ، ماهرا في علم اللسان، و عنه ألف محمد بن ميمون الجزائري كتابا بعنوان : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية " .

يشهد هذا الكتاب على نبوغ الجزائريين في فن المقامات ، و تسجّل تأثرهم بالطريقة الأندلسية في التحبير و التدبيج (حسن السبك) و هذا مقتطف من احدى المقامات في كتاب التحفة : "صعد المنبر ، ووعظ الناس فيه و حذر ، يقذف لسانه لؤلؤه المكنون، و يصرف من بدائعه الأنواع و الفنون ، فلا يجارى في مضمار احسان ، ولا يبارى في بلاغة و براعة لسان"[3]

و يظهر أن الأديب كان يعاني الحسد ، و يطلقون ألسنتهم بالفحشاء في كلّ مرصد ، و من كانت له ملكة فليصنف و الا فلينصف ، و لكن كما قال المجنون :

[1] محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص 305.

[2] المرجع نفسه ، ص 307.

[3] محمد بن ميمون الجزائري ،التحفة المرضية تقديم و تحقيق الدكتور محمد عبد الكريم الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،ط1،الجزائر،1977،ص121 (المقامة الثانية) .

و كلّ يدّعي وصلا بليلي و ليلي لا تقرّ لهم ذلك

و الله و لي التوفيق فيما قصدت ، و الكافي من الخطل فيما سردت فعليه كان معولي ، و به حسن تأويلي ، لا اله الا هو ، و هو حسبي و نعم الوكيل"[1]

بقي أن أشير الى أن محقق كتاب التحفة المرضية لابن ميمون الجزائري هو العالم الجليل الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري ، رحمه الله ، و هو أيضا صاحب ديوان : "كشف الستار". الى جانب محمد بن ميمون الجزائري ، تميزت كوكبة من الشعراء ، نذكر من بينهم الشاعر الكبير أحمد بن عمار الجزائري و هو من أجلاء علماء القرن 12هـ/18م في الجزائري ، و كان يستمد من أصوله الأندلسية الأدب و الفن ، و حب الطبيعة و الجمال . و من حلو شعره :

نشدتك الرحمان يا هاجري عذّب فؤادي بسوى الهجر

كم ليلة قطعتها حسرة و أنت في تيهك لا تدري [2]

و له في النثر رحلة حجية بعنوان : " نحلة اللّبيب " .

كان أحمد بن عمار صديقا لشاعر اخر ، جمع بين وظيفة الفتوى و قول الشعر ، ذاك هو أبو عبد الله محمد بن محمد المشهور بابن علي ، و من شعره :

ان أنكرو فضلي لخبث طباعهم فالدّرّ ليس يعزّ في أوطانه

وكذلك الياقوت ما بعدوا به الاّ و زاد البعد في أثمانه [3]

كان ابن علي أو سيدي بن علي ، كما ينادونه ، يعاني بين مكانته الاجتماعية و الدينية ، بين طموحاته الشعرية ، و كان محتارا من ثورة هواه :

لولا،وحقك،خطة قلّدتها زهرت بها في الخافقين شموعي

ومنابر فيها رقيت الى العلى و قد استدار بها كثيف الجموع

[1] المصدر نفسه ، ص 114

[2] أبو القاسم سعد الله ، أشعار جزائرية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1988،ص65

[3] المرجع نفسه ، ص 40.

لنحوت منحى العامري صبابة ولكان من حرق الجوىمشفوعي[1]

و تشمل هذه الفترة أسماء أخرى كيحي بن أبي راشد ، الذي قال مادحا محمد بكداش ، داي الجزائر التاسع ، و الذي ألف فيه محمد بن ميمون مؤلفه التحفة المرضية ، يقول يحي :

ملك تفرد بالكمال و لم يكن لكماله في السالفين مثال[2]

ثم الشاعر أبو عبد الله محمد البونصي ، مادحا محمد بكداش أيضا :

بشارة خير قد أتت عقب المسا بفرقد سعد في السعادة قد رسا [3]

و يظل محمد القوجيلي أبرز شعراء الجزائر خلال القرن الحادي عشر هجري (17م) ، و له وقفات نقدية ، كقوله :

أهل الفصاحة غبتم لا فصيح يرى يجيد نظم الكلام يذهل الفكرا

بكت لهم و لنظم الشعر باكية و حقّ أن يذنب الأطلال و الأثرا

مصيبة الجهل أدهى محنة نزلت بالمرء لما غدا قد أشبه البقرا [4]

و عرفت الفترة العثمانية بالجزائر فن الموشحات ، ممن أجادوها محمد بن رأس العين الذي اشتهر بالمجون و الهزل ، و كان يلقب بالرئيس ، يلقب بالبليغ ، و من مطالع موشحاته :

غزى فؤادي بمقلتيه و صاد قلبي بقده [5]

قصارى القول ان الأديب في ظلال الجزائر العثمانية قد تأرجح بين السطوع مرّة ، و بين الانتكاسة مرات ، و ذلك بسبب عدم التشجيع من الحكام العثمانيين ، و بسبب عدم استقرار الأدباء في الجزائر ، فأغلبهم اما هاجر ، و اما انغمس في التصوّف الخرافي الذي شكل أحد مظاهر التدهور الثقافي بالجزائر العثمانية .اثرنا أن نعود في

[1] المرجع نفسه ، ص20-21.

[2] محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري،ص312.

[3] المرجع السابق ، الصفحة نفسها

[4] أبو القاسم سعد الله ، أشعار جزائرية ، ص139

[5] المرجع نفسه، ص132.

هذه القراءة الى العهد الموحدي ، مع شخصية الوهراني في عجائب أدبياته . و من هذه العينات أدبيات ركن الدين أبو عبد الله محرز بن محمد الوهراني .، حيث جمعت في مجلد بعنوان "منامات الوهراني و مقاماته و رسائله" تحقيق ابراهيم شعلان و محمد نغش ، مع مراجعة عبد العزيز الاهواني .

الفصل الأول

المدينة في الشّعر العربي

تمهيد :

لقد كان تمسك الانسان ببيئته و رفضه البعد عنها أو استبداله بمكان اخر محل دراية و دراسة الكثيرين ممن اهتموا بالمدينة و التمدّن خصوصا الشعراء العرب و ان كان ذلك فلظروف قاهرة : "ان مكوث الانسان في بيئته منذ الولادة و النشأة بين الأهل و عشيرته و لتعوّده على ظروف معيّنة و عادات و تقاليد خاصّة... يجد من الصّعوبة بمكان تغييرها أو تقبّل ما يختلف عنها ، يضاف الى ذلك تلك العلاقات الاجتماعية النشأ فيه الانسان " [1]

ان هذه العوامل و غيرها كانت الحافز الأوّل في أن يقوم ذلك الترابط الوثيق بين الانسان و بيئته و أن تكون صلته بها و بما تحمله من عادات و تقاليد أوثق و أشدّ تثبيتا في وجدانه و كيانه من أي أمر اخر من خلال مدى تعلّق الرسول (ص) بمكة ، حيث قال فيها : "و الله انك لخير أرض الله الى الله ، و أحبّ أرض الله الى الله ، و لو انّي أخرجت منك ما خرجت" [2]

و الأكثر من ذلك قوله عز و جل : (و لو أنّا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه الّا قليل منهم و لو أنهم فعلوا ما يوعضون به لكان خيرا لهم و أشد تنبيها)[3]

[1] محمد ابراهيم الحور ، الحنين للوطن في الشّعر العربي ، (د.ن)،(د.م)،(د.ت)، ص13 .
[2] المرجع نفسه ، ص25 ، نقلا عن أخبار مكة ، ص195 .
[3] سورة النساء : 66 .

فكلّ واحد منّا أحب مدينة أو أكثر سواء كانت مسقط رأسه أو لم تكن أو عاشرها مؤقّتا للتعلّم أو العمل أو زار أهلا له فيها أو سمع عنها . غير أنّه يبقى مسقط الرأس أجمل مكان في الدّنيا عند معظم النّاس ، و قد صدق أبو تمام لما قال :

نقل فؤادك حيث شأت من الهوى ما الحبّ الا للحبيب الأوّلكم من منزل في الأرض يألفه الفتى و حنينه أبدا لأوّل منزل

و من هذا المنطلق كان الشّعراء أكثر و أشدّ تعلّقا للبيئة التي عاشوا فيها و بالتّالي خلّدوها في أشعارهم ، و تفاعلوا معها بكلّ عواطفهم ، كيف وقد جبل الانسان على جب مسقط رأسه و مرتع الصبا و الطفولة و ملتقى الأهل و الأحباب .

فقد جسّد الشاعر العربي و مند القدم و بخاصة الشعر الجاهري في قصائده كل هذا التعلّق بالمكان و التفاعل معه وجدانيا . اذ أنّ شبه الجزيرة العربية تتميّز بمميّزات خاصة مع تلك الصحاري الشّاسعة و الأراضي الجرداء ذات المطر القليل و الينابيع القليلة ، ممّا انعكس ذلك على حياة النّاس في تلك الفترة . فصارت تفرض عليهم التّرحال و التنقّل اتبعا ممّا يلاءم حياتهم من توفر الماء و الكلأ . "الرحيل خاصّة في المنطقة العربية هجرات القبائل القديمة و التي لم تتوقّف عبر تاريخها الطويل ... و كانت في هجراتها و حركاتها تبحث عن العشب و الماء أو تبحث عن المزيد من الحرّية لأن أوطانها القديمة لم تعد قادرة على توفير معيشة لائقة لها أو امكانية البقاء و الاستمرار ضمن شروط انسانية معقولة " [1]

غير أن عملية انتقال البدو من مكان الى اخر تترك في نفوسهم أثرا بالغا و عميقا من باب الذكريات . مما يكون هذا الانتقال سببا في الألم و الحزن الشديد أسفا على ما فات من أيام و ذكريات خلّدت في هذه البقعة من الأرض .و لذلك كان من الطبيعي أن نجد شعراء العصر الجاهلي يعيشون حياة البادية . و من هذا المنطلق كان تعلق الشعراء بأوطانهم و البيئة التي عاشوا فيها باعتبارها مهد الطفولة و مكانا لصور الحياة الجميلة التي عاشوها فوقها بين الأهل و الأقارب ، فكان يحنّ لمفارقتها تالعودة اليها و يحزن لابتعاده عنها . " فالبدو قوم رحل دائموا التنقل لا يقر لهم قرار في مكان معيّن الا أنّهم يحصرون تنقلهم في محيط محدودلا يخرجون عن نطاقه الا في حالات قليلة ناذرة ، فكان هذا المحيط هو وطنهم الذي يكنّون له الشعور ، فانّنا نراه يتمسّك بكل بقعة حلّ فيها و يحنّ

[1] عبد الرحمان منيف ، الكاتب و المنفى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2001، ص19 .

لكل ديار أقام بين جنوباتها و يبكي و يستبكي حينما يمرّ على أطلال دياره و ديار أهله على أيامه السّالفة " [1] .و في مقابل ذلك فقد عرفوا حياة الحواضر التي كانت منتشرة في المنطقة، فكان لها هي الأخرى الأثر البالغ في نفوس الشعراء و أشعاره . "ارتبط الشعراء العرب القدامى بالمكان و من هنا انتشرت لديهم ظاهرة الوقوف على الطلل ، و أشعار الحنين الى الدّار و الأهل . مثلما عرفوا المدن و ألّفوها و عانوا حياتها خيرا و شرّا فكتبوا فيها و عنها مدحا و هجاء و صوّروا حالات الغربة و البعد عنها أو الشوق و التطلع اليها . فالحواضر ترادف الأوطان فهي جامعة لكل معاني الحياة نفسيا و اجتماعيا و اقتصاديا و هي العمق التاريخي و الامتداد الحضاري لذات الشّاعر[2]

فكان الشّاعر لا يكتب قصيدة الا و قد استهلّها بمقدمة يقف فيها على الأطلال و البيئة التي عاش فيها على الرغم من أن هذه الأطلال كانت مجرّد مخلفات لمنازل خالية و بقايا الحجارة ."كان الشاعر العربي القديم ابن بيئته البار ، أقام فيها فأحبها . و انتقل عنها فلم ينساها و دئب هلى ذكرها و الوقوف و الاستيقاف عليها كلّما مرّ بها . و اتخذ منهل ملهما لأفكاره و منبعا لصوره و موضوعا لوصفه و تغنى بها على قسوتها عليه أحيانا فردّد أسماء البقاع التي شاهدت فترات حياته " [3] .و عليه فقد اتسم الشعر الجاهلي بطابع المقدّمة الطّلالية التي كانت ملازمة لكلّ القصائد الجاهلية و هذا ما يؤكد مدى تعلق الشاعر الجاهلي بوطنه و بيئته ."أما الأطلال فهي حجارة صمّاء و أوتاد لا تعني شيئا بذاتها و لكنها تعني كل شيء للشّاعر الجاهلي ، تعني وجوده و ذاته و ماضيه و ملاعب صباه و تعني وطنه "[4].فالأطلال كانت تمثل الشاعر الجاهلي كل مايتعلق بحياته من الطفولة الى مراحل متقدمة من عمره . و من خلال علاقاته مع اهله و اقرب الناس اليه مما تولد لديه ذلك الارتباط ببيئة المنشأ " ان وقوف الشاعر الجاهلي على الاطلال لم يكن محض تعلق بتلك النؤي و الاوتاد و الاثافي و المدن و الاثار قدر ما هو تعبير عن توترات كانت تقوم في نفسه بين الماضي و الحاضر بين التالف الجمعي و التفرق بين الاستقرار و الرّحيل "[5]

[1] محمد ابراهيم حور ، الحنين للوطن في الشعر العربي ، ص 39.

[2] ابراهيم رماني،المدينة في الشعر العربي،الجزائر نموذجا(1925-1962) ، دار هومة ، الجزائر ، 2001، ص19.

[3] :حسين نصار، معاجم على الموضوعات، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985، ص77

[4] بهجت عبد الغفور الحديثي، دراسات نقدية في الشعر العربي ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2004، ص42

[5] المرجع نفسه ، ص43

و لعل خير من يمثل ذلك هو امرؤ القيس في معلقته التي يستهلها بالوقوف على الأطلال حيث يقول :

قفا نبك من ذكر حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضع فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب و شمأل

و يذهب عبيد بن الأبرص مذهب سايقيه في الوقوف على الأطلال اذ يقول :

أمن منزل عاف و من رسم أطلال بكيت و هل يبكي من الشّوق أمثالي ديارهم اذا هم جميع فأصبحت بسابس الا الوحش في البلد الخالي.[1]

و هذا كثير عزة يقول :

أمن ال قيلة بالدخول رسوم و لحومل طلل يلوح قديم

لعبت الرياح برسمه فأجد جون عواكف في الرماد جثوم [2]

أي أنها أصبحت خالية بعد أن كانت عامرة . ممّا جعل الشّاعر يحن الى تلك الأيام الخوالي التي كانت عامرة و الحياة الجميلة التي رسموها فوقها غير أن طبيعة المنطقة و البيئة أرغمته على الرّحيل و مغادرة الدّيار .

و يقول النّابغة الذّيباني من خلال الوقوف على الأطلال الأحبة و تحيتها و تنسم الذكريات عن طريق اثارها من ديار أم أوفى بعد أن أتى على عهده بها عشرون سنة فلم يعرفها الا بعد مشقة يقول :

فلمّا عرفت الدار قلت لربعها ألا عم صباحا أيها الربع و أسلم [3]

و يقول كذلك :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت و طال عليها سالف الدّهر

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها عيت جوابا و ما بالربع من أحد

[1] بهجت عبد الغفور الحديثي ، دراسات نقدية في الشعر العربي،ص43

[2] عزة حسن،شعر الوقوف على الأطلال،د.ن، دمشق،1968.ص115

[3] أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص52.

أضحت قفارا و أهلها احتملوا أخشى عليها الذي أخشى على لبد[1]

و عموما فان الشّاعر الجاهلي قد تعلّق بالبيئة التي احتضنته منذ الطفولة و خلدها في أشعاره ، و الأكثر من ذلك أنه لم يتسها حتى و هي أطلال و حجارة صمّاء.

و عبر مراحل تطوّر الأدب العربي في مختلف العصور نجد أن العديد من الشعراء عموما قد كتبوا قصائد في هذا الاطار . و عليه نجد معظم الشّعراء يعتمد المسلك الوصفي المباشر و يتوسل بابداء الحب و الاعجاب و الكره و التدمّر اتجاهها .

فقد اقترن شعرنا العربي بالمدينة حيث غدت ملفوظا شعريا بامتياز يظفي عليه الشاعر زخما خاصّا و يعيد صياغته و بناءه من جديد في رؤيته الشعرية ، لذلك لم تعد المدينة في الشعر العربي موقعا جغرافيا و طوبوغرافيا بقدر ما أضحت ايحاء للخير و للجمال أو البؤس و الاغتراب ، كما قد تصير رمزا للألم و الضياع . فغابت أبعادها الهندسية المادّية و تحولت الى طاقة استعارية رمزية تمدّ الشاعر بالالهام و تطهره من الواقع و احباطاته و تتجاوز المستوى المعيشي اليومي الى الدّلالة التعدّدية في التأويلات الممكنة لها . و هي بذلك تهب بالشاعر امكانية التفاعل مع النّاس و المكان لذلك قد تصبح عند أحدهم امرأة فاتنة يتغزل بها أو تصبح غولا يهدّد حياته و يمارس عليه كل أنواع القسوة [2]

و هنا لسنا بصدد الحديث عن المدينة في بعدنا المادّي و لكن الذي يهمنا هو كيف تعامل الشّاعر العربي مع المدينة و كيف انعكس ذلك في شعره.

ينبغي أن نشير في البداية الى أن اغلب التّعاريف التي تتعلّق بمفهوم المدينة في مجملها تصبّ في اطار واحد . فكلها تنظر الى المدينة من منظور حضاري و مادّي الى جانب عامل التجمعات السكّانية ، و هذا ما يجمله التعريف الاتي : " بأنها تجمعات سكانية كبيرة و غير متجانسة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيا و تنتشر منها تأثيرات الحياة الحضارية المدنية ، و يعمل أهلها في الصّناعة أو التّجارة أو كليهما معا كما تمتاز بالتّخصّص و تعدّد الوظائف السّياسية و الاجتماعية" [3]

[1] محمد ابراهيم حور، الحنين للوطن في الشعر العربي، ص75.

[2] ابراهيم القهواجي، الشاعر العربي و المدينة،

[3] حسين عبد الحميد، دراسة في علم الاجتماع الحضري،ط5،المكتب الجامعي، الحديث، الاسكندرية،1989، ص59.

فالمدينة في أبسط تعريفاتها هي مقر لمجموعة بشرية تربط بين عناصرها علاقات شيء منها العائلية و الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية ، و يعيشون في اقليم جعرافي يتميز بطغيان الجانب المادّي من سكنات و بنى تحتيّة و مرافق خدماتية ، بحيث تتنوّع بتنوّع طبيعة نشاطها ، الى جانب المنشات الكبرى ، من جسور و مصانع و مؤسّسات تجارية كبيرة . و لتحديد طبيعة المدينة و مفهومها كان لنا أن قارناها بما يعرف بالرّيف أو القرية و هنا كان الفرق واضحا جدّا . فالمدينة أكثر تطوّرا من القرية من منظور حضاري و مادّي و من ناحية الخدمات التي تقدمها المدينة للنّاس من تسهيلات الحياة و الاستمرار و البقاء " المدينة تمتاز بصفة الجاذبية ، انّها المنطقة التي ولد فيها الانسان تكون محل زهو لديه غير أن نشأة المدن و ما يتوافر فيها من مظاهر حضارية جعلت الانسان لاسيما الذي ولد في الرّيف قبل الذي ولد في المدينة يفضل الحياة في المدينة على الحياة في القرية التي ولد فيها لعدم توفّر الوسائل و الخدمات الحضارية في القرى " [1]

و لعل ما يؤكّد ذلك هو انتشار ظاهرة النّزوح الرّيفي نحو المدن ، و هنا نؤكد على أن السّبب الرّئيسي الذي دفع بأهل القرى و ساكنيها الى الهجرة نحو المدن هو عدم قدرة القرية على توفير شروط الحياة الضرورية للانسان من أجل العيش الكريم غير أنّنا لا ننكر أنّه هناك من يفضل الرّيف عن المدينة .

و عموما فانّ المدينة لها من الخصائص ما يميزها عن الريف ، من خلال الجانب المادّي و الحضاري و الثّقافي و السكّاني و مظاهر الحياة المختلفة .[16]:

غير أن المدينة من المنظور الوجداني فهي تختلف عن المفهوم المادّي و الحضاري فهي تأخذ و بصفة خاصّة مفهوم المكان الذي شهد مولد الفرد و طفولته و حياته ممّا يجعله أكثر تعلّقا بها و بغظ النظر عن الجوانب المادية التي تميز بقعة عن أخرى . اذ أنه و منذ القديم لم يكن مفهوم المدينة قد أخذ أبعاده اجرائية الاّ مع بروز التطوّر الحضاري و ظهور فن العمارة و التشييد . اذ أن الانسان و منذ القدم كانت البادية مدينته و وطنه و كانت بعد ذلك بعض التجمعات السكّانية التي اخذت تأخذ طابع القرية فهي مدينة هؤلاء النّاس من منطلق العلاقات التي كانت تربط بين هؤلاء النّاس و التي يميزها البعد الاجتماعي . لتظهر بعد ذلك المواطن الحضارية و كبريات المدن بحيث أصبحت تسمّى الحاضرة على عكس الباديّة فهي أكثر تطوّرا و مادية منها . و مع مرور الزّمن و بتغيّر المكان بدأت تظهر المدن و العواصم الكبرى و بدأت التجمّعات السكنية تكبر و بشكل سريع .

[1] حسين عبد الحميد، دراسة في علم الاجتماع الحضري،ط5،المكتب الجامعي، الحديث، الاسكندرية،1989، ص63

أمّا المدينة من المنظور الذي نحن يصدد معالجته في هذا الموضوع فهي تتنوّع و تتّخذ أبعادا مختلفة بحسب تشكّل هذا المفهوم من خلال ما جاد به الشعراء و عبر مراحل التّاريخ الأدبية انطلاقا من العصر الجاهلي الى يومنا هذا ، و كيف تشكّل هذا المفهوم في ذات الشعراء . و الغالب أنّها مرتبطة و بشكل ظاهر بالجانب الوجداني للشّعراء من قبيل تخليد هذا المفهوم في قصائدهم و تعلّقهم به . و الأكثر من ذلك أن العديد من الشّعراء قد شيّدوا مدنا خاصّة بهم و أطلقوا عليها أسماء خاصّة بهم . بحيث أنّهم هم الذين يشكلون مظاهرها و هم من يختارون سكّانها و بنياتها التحتيّة ، الى كل مظاهر الحياة التي يرسمونها بكلّ دقّة تتماشى و أهواءهم .

و لكن ما يمكن أن نقوله أن المدينة و عبر التّاريخ و المكان تعتبر جزء من وجدان الفرد .بغظ النظر عن عرقه و جنسه و انتماءه . اذ لم تكن مقصورة على أناس دون اخرين فهي تأخذ بعدا انسانيا .

المبحث الأول : المدينة في الشّعر العربي القديم :

ينبغي أن نشير بداية الى أن المدينة في العصر الجاهلي لم يكن لها قرار من قبيل التكوين الذي تعرفه طبيعة المدينة من حيث التشكل و الظهور . فكل ما جسّده الشّاعر الجاهلي في شعره كان تعلّقا بالمكان و البيئة التي عاش فيها . و لم يعش الشاعر الجاهلي في المدن و لم يعرفها بل كان يعيش في البوادي . فالمدن بدأت تظهر فيما بعد و بالخصوص في الفترة العباسية و ما بعدها من مراحل . فكان أن بدأت تظهر المدن الحضاريّة و بالتّالي استقرار العديد من الشعراء العرب في المدن . فكان أن كتبوا عن المدينة و ما يتعلق بها بكل مظاهر الحياة .

و عموما فالمدينة من منظور مادّي و حضاري لم تكن معروفة لدى الشّاعر الجاهلي و لا هو عاش فيهها . فكلّ ما كتبه كان من منظور تعلّقه بالمكان . غير أنه و مع بروز و ظهور المدن بدأت تظهر لدى الشعراء العرب قصائد تتناول المدينة كموضوع .

1/ الشّاعر العبّاسي و المدينة :

الشاعر العباسي هو الاخر كان للمدينة أن أخذت نصيبا من شعره ، اذ أنه هو الاخر تعلّق بالمكان و البيئة التي عاش فيها خاصّة ، و بكل ما يحيط به من أماكن جميلة ، حيث نقل لنا صورا رائعة عن جمال البيئة العبّاسية و ما يميزها من مدن تتخلّلها المباني و القصور الرّائعة الى جانب الحدائق و مظاهر الحضارة . فالشّاعر العبّاسي لم يكتف بنقل مظاهر الحضارة في البيئة العباسية و مدنها بل كان أن تفاعل معها بكل جوانحه، بحيث نقل كل ما هو مادّي بواسطة مشاعره و أحاسيسه .

فهذا ابن المعتز يصف لنا مظاهر الحياة الجديدة التي شهدتها البيئة العبّاسية من قصور و بساتين و ضياع ، و هذا من خلال وصفه لابنة الخليفة المعتضد اسمها الثريا يقول :

حللت الثريا خير دار و منزل فلازال معمورا و بورك من قصر

فليس له فيما بنى الناس مشبه ولا بناه الجنّ في سالف الدّهر

جنان و أشجار تلاقت غصونهن فأورقت بالأثمار و الورق الخضر

ترى الطير في أغصانهن هواتف اتنتقل من وكر لهن الى وكر

وبنيان قصر قد علت شرفته لترضع أولاد الرياحين و الزّهر[1]

فقد كانت البيئة العباسية قمّة في الجمال و في مناح الحضارة المختلفة .

و البحتري يصف البركة التي شاهدها في قصر الخليفة يقول :

يا من رأى البركة الحسناء رأيتها و الانسات اذ لاحت مغانيها

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارج من حبل مجريها

اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها [2]

و أبو نوّاس يقف على مظاهر الحياة العبّاسية متهجّما على كلّ ما هو عاف من الأطلال القديمة و الرسوم ، يقول

أحبّ الي من وخد المطايا بموماة يتيه بها الطليم

ومن نعت الدّيار وصف ربع تلوح به على القدم الرّسوم

رياض بالشقائق مونقات تكنف نبتها نور عميم [3]

و عموما فقد كانت البيئة العبّاسية في قمّة الجمال و الرّوعة بحيث تتسم بالقصور العالية و الجميلة و مظاهر الحضارة و الرّقي و المناظر الطبيعية الخلابو سواء ما كانت من الطبيعة أو من صنع البشر . ممّا جعل الشاعر العبّاسي يتعلّق بها و يحبّها و يجعل لها مكانا في شعره . فراح الشاعر يعدّد هذه المظاهر و يصبغها بوجدانه و مشاعره فكان أن أخرجوا لنا قصائد في قمّة الجمال الفنّي.

2/ الشّاعر الأندلسي و المدينة :

لقد تناول الشّاعر الأندلسي هو الاخر في شعره موضوع المدينة و كانت من صميم الموضوعات التي لها علاقة بما يحيط بالشّاعر ، اذ أنّه ارتبط و تعلّق بها و خلّدها في شعره . كيف لا و قد عرف عن بلاد الأندلس أنها كانت في قمّة الجمال . و في هذا قال أبو اسحاق ابراهيم بن خفاجة :

[1] أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني،مؤسسة الوراق،عمان،2007،ص91.

[2] المرجع السّابق ، ص93 .

[3] ابراهيم رماني،المدينة في الشعر العربي: الجزائر نموذجا(1925-1962) ، ص 23.

يا أهل أندلس لله دركم ماء و ظل و أنهار و أشجار

ماجنة الخلد الا في دياركم و لو تخيرت هذا كنت أختار[1]

و الأكثر من ذلك أن الشّاعر الأندلسي لم يكتف بوصف المدن الأندلسية ، بل أنّه تعلّق بها و أصبح جزء من وجدانه يتفاعل معها و يألم لما يلحق بها ، خاصّة و أن الأندلس عرفت العديد من الحروب التي خرّبت المدن و دمّرتها بعدما كانت قمّة في الجمال و كانت اهلة بالنّاس و الحركة تدب في أرجاءها .

فقد كانت الأندلس في فترة من الزّمن في حالة حروب و طغيان الغزو الصليبي . فقال ابن الدباغ الاشبيلي :

و قائلة أراك تطيل فكرا كأنّك وقفت على الحساب

فقلت لها أفكر في عقاب غدا سبيا لمعركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام و قد دخل البلا من كل باب [2]

و ابن الابار يندب بلنسية يقول :

و في بلنسية و قرطبة ما يترف النفس أو ما يترف النفسا

مدائن حلّها الاشراك مبتسما جذلان و ارتحل الايمان مبتئسا[3]

فقد شهدت الأندلس حملة تنصير شرسة شنّها الصّليبيون تجاه الاسلام و أهله ، هذا ما جعل شعراء الأندلس يألمون لذلك .

و قد كانت المدينة حاضرة بقوة في شعر الأندلسيين الذين كانوا في الغربية ، حيث كتبوا عن الحنين اليها ، مما يبين مدى تعلق الشّاعر الأندلسي ببيئته . "الحنين للوطن و الأهل و الأحباب من رقّة القلب و علامة الرّشد بما فيه من دلائل على الكرم الأصل و تمام العقل " [4]

[1]عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت، د..ت ، ص154.

[2]: محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،1999، ص

[3]: ابراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي : الجزائر نموذجا(1925-1962) ،ص23

[4]عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 269

و قيل كذلك :" ليس الانسان أقنع بشيء من وطنه لأنه يتبرم بكل شيء رديء و يتدمّم من كلّ شيء كريه ، الا من وطنه و ان كان رديء التربة، كريه الغذاء، و لولا حب النّاس للأوطان، لخرب أخابث الأرض"[1]

و لقد عرف العربي حب الوطن و الحنين اليه من أقدم الأزمان فذكر المنازل و الدّيار . فالأرض قطعة من الانسان لا يستطيع نسيانها من حلّ أو رحل . و هل يستطيع الانسان أن ينسى نفسه ؟

فالشّاعر أبو الحسن علي بن سعيد العنسي يتذكّر الأندلس عندما ذهب الى مصر يقول :

هذه مصر فأين المغرب ؟ مذ نأى عني فعيني تسكب

فارقته النفس جهلا ، انما يعرف الشيء اذ ما يذهب

أين حمص ؟ أين أيام بها ؟ بعدمها لم ألق شيئا يعجب

كم تقضى لي بها من لذة حيث للنّهر خرير مطرب

و حمتم الأيك تشدو حولنا و المثاني في دراها تصخب

أي عيش قد قطعناه بها ذكره من كلّ نعمى أطيب ؟[2]

و عبد الرحمان الداخل يقول في حنينه الى المشرق :

أيها الرّاكب الميمّم أرضي أقرّ من بعضي السلام لبعض

ان جسمي كما تراه بأرض و فؤادي و مالكيه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا و طوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالبعاد علينا فعسى باقترابنا سوف يقضي

[1] المرجع نفسه ، ص270.

[2] عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص274.

و ما يميز الشعر الأندلسي المتعلق بالمدينة كموضوع هو ظهور ما يعرف برثاء المدن حيث راح الشعر الأندلسي يبكي على المدن مثل ما كان يبكي الشاعر الجاهلي على الأطلال . و في هذا الشأن يقول ابن خفاجة الأندلسي في رثاء مدينة بلنسية التي سقطت في أيدي الأعداء سنة 488هـ ، بعد حصار دام عشرين يوما :

عاثت بساحتك العدى يا دار و محا محاسنك البلى و النار

فاذا تردّد في جنابك ناظر طار اعبار فيك و استعبار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها و تمخضت بخرابها الأقدار

كتبت يد الحدثان في عرصاتها "لا أنت أنت و لا الديار ديار "[1]

و هذا ابن لبانة يرثي مملكة بني عباد و مملكتهم في قصيدة طويلة نذكر منها :

تبكي السّماء بدمع رائح غاد على البهاليل من أبناء عباد

على الجبال التي هدّت قواعدها و كانت الأرض منهم ذات أوتاد

با ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ في ضم رحلك و أجمع فضلة الزّاد

و يا مؤمل وادهم ليسكنه خف القطين و جف الزّرع بالواد[2]

و تعتبر نونية الشاعر أبو البقاء صالح بن شريف الرّندي من أروع ما قيل في رثاء المدن و أصدق ما يعبّر عن مدى تعلق الشاعر الأندلسي ببيئته يقول :

لكل شيء اذا ما تمّ نقصان فلا يغرّ بطيب العيش انسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

دهى الجزيرة أمر لا عزائله هوى له أحد و أنهد ثهلان

أصابها العين في الاسلام فارتزأت حتى خلت منه أقطار و بلدان

[1] عبد العزيز عنيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص 323.

[2] المرجع السابق ، ص 325.

فاسئل بلنسية : ما شأن مرسية ؟ و أين شاطبة أم أين جيان ؟

و أين قرطبة دار العلوم ، فكم من عالم قد سما فيها لهشان؟

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء اذا لم تبق أركان؟ [1]

و عموما فقد كانت المدينة في نظر الشّاعر الأندلسي الفضاء الذي رسمت فيه كل محطات حياته . لذلك تعلق بها و أحبها و تفاعل معها بكل وجدانه غير أنّ خير جميل ردّه اليها هو أنه خلّدها في أشعاره .

المبحث الثّاني : المدينة في الشعر العربي الحديث و المعاصر :

ان من أبرز ما يميز الشعر العربي الحديث هو غلبة بعض الموضوعات على هذا الشعر و تعتبر المدينة من أبرز المواضيع التي لا نجد شاعرا الا و قد تطرق الى هذا الأمر. و لعلّ السبب في ذلك راجع الى طبيعة الشّعراء و تعلقهم الوجداني بالمحيط ، ثم أن تغلل الشاعر العربي في روح الحضارة أدّى به الى التطرق لهذا الموضوع باعتباره الفضاء الذي تتجسد فيه كل مظاهر الحياة .

غير أن المدينة كانت للعديد من الشعراء بمثابة العالم الغريب الذي وجد نفسه تائها فيه . و خاصة لدى الشعراء الذين عاشوا في الريف ثم انتقلوا الى المدينة فكان الوقع في صراع بين عالمين مختلفين تماما ؛ بين عالم الرّيف و عالم المدينة . فكانت الثّنائية الذي شكلت محور الصّراع الرئيسي الذي دارت حوله جل القصائد التي تناولت موضوع المدينة .

"لكن حلم القروي الذي كان يحمله الى عالم المدينة كثيرا ما يتحوّل الى خيبة أمل يصاب بها حين يستقر بها ، فيعاني حالات جديدةمن الاحباط و التمزق و الشّعور بالاغتراب في وسط لا يتحقق فيه ذلك الانسجام بين مظاهره و بين بنية الفرد النفسية و عواطفه التي نشأت في بيئة مغايرة تماما ... و اغتراب الانسان في المجتمع بعدما طغت النزعة الفردية ، و شعر كل فرد بأن وجوده لا يتحقق ضمن اطار جماعي كما كان معمولا به بالجماعات البدائية الأولى .. فكلّما زاد التقدّم العلمي و التّقني كلّما زادت الهوة بين الأفراد و تقلّصت حدود العلاقات الاجتماعية بين النّاس"[2]

[1] عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص 325 .

[2] قرطي خليفة ، المدينة في الرواية الجزائرية العربية (مذكرة ماجستر)، جامعة الجزائر،1995، ص119.

غير أن الصّراع الذي كان قائما بين الشّاعر و المدينة هو صراع نابغ من وجدانه ،كونه يتأقلم مع المدينة نفسيا ، هذه البيئة الجديدة التي تختلف كل الاختلاف عن البيئة التي تربى فيها و في هذا الصّدد يقول احسان عبّاس : " و قد كان من المصادفة أن يكون عدد من الشّعراء المعاصرين ريفيي النشأة ثمّ هاجروا للمدن فالصدام بينهم و بين المدينة لا يعني مقطن الحضارة و وسائلها ؛ و انّما هو تعبير عن عدم الألفة بينه و بين البيئة الجديدة لأسباب عديدة (...) فأول ما يحس به الريفي اتجاه المدينة هو النّفور من الضجيج الكثير و الازدحام و التدافع و اضطراره الى طريقته في المشي المتباطئ و استحداث سرعة لم يألفها من قبل في الحركة العامّة ... و لعلّ أشدّ ما يهزم أن كل شيء يباع فتأخذه الحسرة على ما فقده من فضائل الرّيف و أخلاقياته و عاداته " [1]

ان النفور من المدينة و الحنين الى الرّيف ممتزج مع الحنين الى الأم و الى الطفولة .

" نزح الشّاعر الريفي الى المدينة و يحمل قريته دائما بين جوانحه يجتاحه الحنين الى قريته من حين الى اخر [2] »

و من شدّة تعلّق الشاعر بالرّيف (القرية) فقد خلّدها في شعره ، و دائما من خلال الثّنائية القائمة بين الريف و المدينة و هنا يقول عبد المعطي حجازي عن القرية :

أمامنا لا سقف و لا جدار

أمامنا المدى مخضوضر في المغرب الشتويصافي الاخضرار

أين ازدحام النّاس ؟

أين اصطناع الزرع في انية النحاس ؟

هنا المدى لا يعرف الحرّاس

هنا أنا حرّ . هنا الطيور تستطيع أن تطير .

هنا النبات لا يزال أخضر الرّداء

[1] احسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة،الكويت،1978، ص90.

[2] مختار علي أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة، الكويب،1995،ص32.

و يقول كذلك :

أيها الحقول يا نقية الألوان

يا بيدر الطائر يا مرعى البهيم

لو أنّني نزّلتك الان فتحت لي الذّراع

لو أنّني مشيت ما وجدت من يقول : قف[1]

و هنا راح الشّاعر يعدّد مظاهر الرّيف من خلال تلك الفروق التي كانت بين حياة المدينة و عالم القرية . و في مقابل ذلك كان ناقما على مظاهر الحياة في المدينة .

و في هذا الاطار دائما يقول بلند الحيدري :

لا لن أعود

لمن أعود و قريتي أمست مدينة ؟ [2]

أمّا السياب فلم ينسجم مغ بغداد لأنّها عجزت أن تمحو صورة جيكور أو تطمسها في نفسه ؛ هذه القرية الصغيرة التي احتضنت مولد الشّاعر و نشأته الأولى و امتزجت في وجدانه بكلّ معاني البراءة و النّقاء . و لهذا أصبحت جيكور لدى السّياب رمزا للصّفاء و الطّهر و الحرّية و السّلام حتّى حين رجع الى جيكور وجدها قد تغيّرت لم يستطع أن يحب بغداد أو أن يأنس الى بيئتها و ظل يحلم لابد أن تبعث من خلال ذاته . فخلّدها في شعره و ذلك من خلال قصيدته : " جيكور و المدينة " . هذه القصيدة التي بيّنت ذلك النّفور الذي يمارسه الشّاعر اتجاه المدينة . و حديث السيّاب عن دروب بغداد هو الذي جعل هذه اللّفظة لدى معظم الشّعراء من بعد تحدّد معنى الضّياع . يقول :

و تلتفّ حولي دروب المدينة

حبالا من طين

[1] مختار علي أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة، الكويب،.1995.ص39.

[2] مختار علي أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة، الكويب،.1995.ص94.

يمضغن قلبي

و يحرقن جيكور في قاع روحي

وو يزرعن فيها رماد الضغينة .[1]

(من ديوان أنشودة المطر)

أمّا محمود درويش شاعر القضيّة الفلسطينية فيعتبر من أبرز الشّعراء الذين تعلّقوا بالمدينة و خلدوها في أشعارهم و بالخصوص المدن الفلسطينية حيث نقل كل ما تعانيه المدن الفلسطينية الموضوعة تحت الاستثمار اليهودي . فاذا قمنا بنظرة على عناوين قصائد الشعر ، رأينا أنّ الشّاعر التفت الى المدينة مرارا و خصّها بالذّكر و جعلها عنوانا لقصيدته ، و يمكننا التمثيل على ذلك : تحت الشبابيك العتيقة : الى مدينة القدس و أخواتها – قاع المدينة – غريب في مدينة بعيدة – عائد الى يافا- المدينة المحتلة – حوار مع مدينة – طريق دمشق – تأملات سريعة في مدينة قديمة و جميلة على ساحل البحر الأبيض المتوسّط – قصيدة بيروت ... و غيرها من المدن التي تنوّعت بين المدن الفلسطينية و العربية و الغربية . و من أبرز المدن التي كانت حاضرة في شعره نجد كلا من القدس و غزّة يقول في هما : "و ما القدس و المدن الضائعة/ سوى ناقة تمتطيها البداوة / الى السلطة الجائعة / و ما القدس و المدن الضائعة/ سوى منبر للخطابة / و مستودع للكابة / و ما القدس الا زجاجة خمر و صندوق تبغ... / و لكنها وطني".

و يقول في غزة :

"وغزة لا تصلّي حين تشتعل الجراح على ماذنها / و ينتقل الصّباح الى موانئها ، و يكتمل الردى فيها / أتيت / أتيت / قلبي صالح للشّرب / سيروا في شوارع ساعدي تصلوا / و غزة لا تبيع البرتقال لأنّه دمها المعلّب ...." [2]

[1] محمد محمود ، الحداثة في الشعر العربي المعاصر: بيانها و مظاهرها ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت،1996،ص273.

[2] عادل الأسطة ، مدخل لقراءة موضوع المدينة في شعر درويش،

www.google.ae.2007

و هذا البياتي يقول في المدينة :

و عندما تعرّت المدينة

رأيت في عيونها الحزينة

مباذل الساسة و اللصوص و البياطق

رأيت في عيونها المشانق

تنصب و السّجون و المحارق

و الحزن و الضياع و الدخان

رأيت في عيونها الانسان

عن عظمة من قمر يموت فوق جثث المنازل[1].

و يذهب عبد المعطي حجازي كذلك في اطار حديثه عن وجه المادي للمدينة على غرار العمارات الشّاهقة و السيارات و العدد الهائل من النّاس و الوسائل و الاليات . و الأكثر من ذلك ذهب الى الحديث عن سلطة الوقت الذي يسيطر على حركة الناس و تحركاتهم . يقول في هذا الأمر : [2]

رسوت في مدينة من الزجاج و الحج

الصّيف فيها خالد ما بعده فصول

بحثت فيها عن حديقة فلم أجد لها أثر

و أهلها تحت اللهيب الغبار صامتون

و دائما في سفر

لو كلموك يسألون : كم تكون ساعتك ؟ (رسالة الى مدينة مجهولة)

[1] احسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ص106

[2] مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص25.

و الأكثر من ذلك يذهب محمد ابراهيم أبو سنة الى الجديث عن سلطة المدينة التي تتحكم حتى في حركة النّاس ؛ حيث يلتقط لنا صورة عن تحكم الالية في حياة النّاس من خلال اشارات المرور التي يطيع الناس أوامرها .

يقول : اشارة حمراء : قف

اشارة خضراء : من هنا انصرف. (من قصيدة نرجس و المدينة)

و هنا الشّاعر يذهب الى أبعد من ذلك من خلال البعد الاخر لهذه الاشارات التي ترمز الى فقدان الشّاعر لحرّيته داخل المدينة ، و اعتبار أن المدينة تسلبه أحلامه و تضغط عليه لأجل الخضوع لكل أوامرها فهي في نظره الامر و الناهي .

كما أنه يتحدث عن ضياعه في المدينة ، و يصف لنا مدى معاناته داخل هذا السجن مما ألبسه ثوب الهموم و الأكثر من ذلك يعمم الأمر على جميع من يسكن فيها . يقول :

بالأمس يا حبيبتي .. خرجت للطريق

لأقرأ الهموم في العيون

همومهم أولئك الذين يعبرون

في شارع المدينة الحزين .

و قد أخذت المدينة في شعر هؤلاء الشعراء عدة أبعاد . و لعل البعد الاجتماعي (الانساني) هو الأكثر وقوعا في مضامين قصائدهم نظرا لما له من الصلة الكثير بالجانب الوجداني . و الأكثر من ذلك أن الانسان لا يتحقق وجوده الا من خلال اطار الجماعة و بين أهله و الاخرين .

يقول البياتي في ما يتعلق بالتواصل : و ذات ليلة أتى الشتاء / و جرد الأشجار من ثيابها / و أرسل الرياح / تنوح في الطريق / و فجأة تفرق الصحاب / لكل واحد طريق / و أغلقوا الأبواب / الريح تلتوي و يسقط السحاب / و فوق كل مدفأة تمددت أنامل الجليد . [1]

[1] مختار علي أبو غالي،مرجع سبق ذكره ، ص174.

و هذا كله من خلال ثنائية الأنا و الاخر ؛ فالناس في المدينة متفرّقون منغلقون على أنفسهم غير متواصلين . طموح الشّاعر في التواصل و اهتمام كل واحد منهم بنفسه . فلكل همومه . و تركوا الشّاعر وحده . و هنا يواصل و يقول :

لو يعلمون يا مدينتي

الدفء ليس مدفأة

الدّفء ليس في الغطاء

الدّفء في مودّة اللّقاء [1]

و في هذا الصّدد دائما يقول عبد المعطي حجازي :

النّاس حوليساهمون

لا يعرفون بعضهم...هذا الكئيب

لعلّه مثلي غريب

أليس يعرف الكلام ؟

يقول لي ... حتى ... سلام [2]

فلا أحد يلقي السلام على الاخر و الشّاعر يقول هذا من قبيل أن القرية لا تعرف مثل هذه السلوكيات فالناس يلقون السلام على بعضهم البعض . و يهتمون ببعضهم فيفرحون لفرح أحدهم و يحزنون لحزنه .فلسنا هنا في القرية و لكن نحن في المدينة ، حيث الكل مضيع و غريب .

و هذا صلاح عبد الصبور يرى أنه لا يموت مثل الاخرين م ينال حقه من البكاء عليه و التعزية و المواساة ، و خوفه من أن لا يحضر النّاس جنازته بسبب عدم اهتمام النّاس به .

... و قد أموت قبل أن تلحق رجل رجلا

[1] المرجع نفسه ،ص185

[2] علي عشري زايد،قراءات في الشعر العربي المعاصر،ص332.

في زحمة المدينة المنهمرة

أموت لا يعرفني أحد

و قد يقال بين صحبي ، في مجامع المسامرة

مجلسه كان هنا، و قد عبر

يرحمه الله [1]

و عموما تعبّر نفسية الشّعراء في حالة تفتقد للبعد الاجتماعي و التواصلي؛ و ذلك من خلال عقدهم للمقارنة بين عالم المدينة و عالم الرّيف .

[1]علي عشري زايد، مرجع سبق ذكره ،ص337.

الفصل الثّاني

دلالة المدينة و رمزيتها في

الشعر الجزائري القديم

المبحث الأول : التغني بالمدينة و الثناء عليها

التغني هو نوع من انواع الشعر الذي يكون موضوعه الرئيسي هو وصف المدينة ويتغزل بمحاسنها ، حيث يقوم الشاعر بتعداد مواطن جمال مدينته ، كانه يتغنى بجمال طبيعتها ، او جمال بناياتها كما يبث فيه الشاعر شكواه من الم فراقه او ابتعاده عنه او سفره ، كما ان هناك العديد من الشعراء الذين اشتهروا في مجال التغني بمدنهم .

1- التغني بمدينة وهران :

ظهر التغني بمدينة وهران في عهد الباي "مصطفى بوشلاغم" أثناء استرجاع وهران و قد سجل الشعر الجزائري هذا النصر المبين من خلال قصائد الشّاعر "أبي زيد عبد الرحمان التلمساني" في قوله :

و قل "وهران" يهنيك افتكاك و انقاذ من الأسر الشّديد

لك البشر و للاسلام أخرى بمنعك من يد الكفر العتيد

أتذكر حيث كنت مناخ شرك قصرت مقام شكر للحميد

جزى جيش الجزائري كل خير اله الخلق ذو الملك العتيد

هم المستنقذوك و قد أحاطت بك الأعداء تطمع في المزيد

وقد ظنّوا بأن لهم نجاة بمرسى الثغر من بعد الشرود

و لو أغنى التحصّن عن قتيل وحال السور من قدر المريد

لما فتحت بروجهمو و هدت معاقلهم بصاعقة الرعود

ولو غفلوا لما لجأوا لشيء سوى دين التحية و السّجود

ان لم يسجدوا لله طوعا لقد سجدوا بمنصلت الهنود

وان فرّوا ستدركهم قريبا بأندلس جنود من أسود.[1]

[1] محمد بن عمرو الطنار ، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص 240.

كذلك تم التغني بمدينة وهران و التهنئة بمناسبة فتحها و عودتها للمسلمين و تحريرها الأول من الاحتلال الاسباني سنة 1119هـ/1708م ، في قصيدة للشيخ أبو زيد عبد الرحمان الجامعي الفاسي في شرحه لأرجوزة الحلفاوي التلمساني ، يقول :

اي و الله يوم عيد للاسلام ازداد فيّام الدّهر جاد بنواع السلوان

يوم لقات السّلم ووفاتالمسعادورضات بدين الهدى بهجة وهران

و تبسم ثغرها فوجه الدين وجاد بوصال بعد الجفا و جفا الطّغيان

وليان اصليب متنها لله انقاد وعص دين الصليب و ذعن للرحمان

كانت عذرا باهيا تسبي الاغياد ترفل فاثياب المحاسن و الاحسان

محجور تحت حكم الاسلام كما راد ما تخرج طاعة أولا تعرفل ثان

معروف بالصلاح ما ترضى بفساد تفرح لنكا العدو الضراغم والغزلان

كما تغنى الجامعي بالبرج الجديد المتواجد بمدينة وهران الذي كان مدى اهتمام الاسبان واعتزازهم بمنعته و الذي أسموه ببرج لامونا [1]، حيث يقول :

وبدا البرج الجديد ما شاد شدّاد فبراج ارم ولا بناه أنوشروان

يزري بالقصر المشيد احلف ما شاد متل من شاد الخورنف و الايوان

مفروغ من اللّجين محفوظ باللأنجاد بطريق وقبطان مركيش و دهقان

وطلاسم وافق سوايعها برصاد و مدافع كالفيال من صنع اليونان

به تهنات و نكمل ليها المراد و ابتشرت بالدوام تحت ايدي الخزيان

تغنى الشاعر كذلك بتحصين الاسبان لأبراج مدينة وهران ، و ذكر أبراجها العظيمة الخمسة .[2]

[1] يذكر الاستاذ, يحي بوعزيز ان برج لامونا هو برج اليهودي . مدينة وهران . المرجع السابق . ص 132.

[2] الرّاشدي،ابن سحنون،2013،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تحقيق: س المهدي البوعبدلي،طخ،الجزائر،دار المعرفة العالمية،ص207

أبراج محصّنين حراس أو أرصاد يرميوا ألي ايطوف بيهم بالنّيران

برزوا قدّامها البيّ خلف لساد سنّوا الأظفار بالمنيا و النيبان

أجبال مجوفين من تحت أهل عاد فيها كيفان للثعابن و السيطان

سيطان من النحاس تحمل حمل الواد بصواعق من الجحيم تهو كالعقبان

ظنت تمنع بالمدافع من الاسياد و ينجيها من القضا حصن البنيان

من جهة أخرى كذلك تم التغني ببرج (مرجاج) ، حيث قال فيه الزياني واصفا اياه :"...مؤسسة في أسفل جبل هيدور الأشم ، الذي اختطّ الاسبانيون بقمّته بالبناء المحكم ، برج مرجاجو الشامخ العتيد ، و قطب راح حربها الشّديد ، صعب المسلك بعيد المدرك ، ضيق الفجّاج ، المشرف على المدينة و المرسى و الأبراج ، غصّ منه الجو في الصّعود ، و كاد يلمس بيده الأفلاك بالعقود ، ذهب في السّماء بفروعهو كلاكله، و ملأ الجوّ بقرونه و هياكله ... تلفّع بمروط السّحاب ، فضرب بينه و بين النّاس بحجاب ... [1]حيث يقال فيه :

وعتزت من قاهر الخلق بالاجناد و غواها مرجاج عش البيزان

حصن مقنع بالسحاب ضحات اوهاد تحت الانجاد خلته مرقات الجان

يغتاظ ايل يشوف من جاها هداد يتفرقع مثل رعد بسحاب المرنان

و يصفه بعض شعراء الملحون:

سالوا عليه مرجاجو كان هنايا و امراق البحر و ابراج تلمسان

شيخ الجبال عالي يا فطانا كل الجبال خرت له سجدان [2]

[1]الزياني،محمد بن يوسف،2013،دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران،تحقيق المهدي البوعبدلي، ط خ ، الجزائر ،دار المعرفة الدولية ، ص44

[2]الزياني ، المرجعنفسه ، ص44.

برج حسن بن زهوة او سان قريقوار[1] الذي بناه الاسبان سنة 1589 على ربوة صغيرة جنوب برج لامونا و شمال برج الجبل على سفح برج مرجاجو ، والذي تم التغني به في القصيدة :

وغترت و ازدهات بالباز الصياد بن زهو سيتل الوهاد و الودان

جبل النار الي لقاهايصير ارماد لو شافوه المجوس يسجدوا ليه اعيان

رسل شواظ ملتهب جمر وقاد يتفرقع كيف رعد فليال حيان

و برج العيون سمي بذلك لانه مبني براس الماء الذي يسقي اجنة هذه المدينة ، و التي تغنى به في الأبيات التالية :

و استكفل برج العيون بكل سهاد عساس يبات فاتح اعيون يقظان

كر عاشق ليس يتلذذ برفاد يرجى حب ايزور ولا الصبح يبان

ويل طال الليل يتنهد تنهاد بزلازل قاصف اتزلزل كل امكان

2- التغنّي بمدينة تلمسان :

ان مدينة تلمسان تقع في الاقليم الغربي من أرض الجزائر [2] ، حيث تضمها الجبال شرقا و جنوبا و غربا ، و يرسل اليها البحر شمالا نسيمه المنعش و يجود عليها بنداه النافع . و لله در ابن خميس حيث يقول :

تلمسان جادتك السّحاب الرّوائح و أرست بواديك الرياح اللّواقح[3]

يتغنى "الطيب أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي" بتلمسان التي صارت في عهد السلطان ذات حسن و جنة يقصدها الناس من كل فج و صوب ، حيث يقول :

وافي "تلمسان" و هي محل فجادها صيب السّحائب

فهي به الان ذات حسن منظر للعقول سالب

[1]Henri,Léonfey,histoire d'Oran avant ,et pendant et après la domination espagnol ,typogrephieadolpheperrier éditeur, Oran,1858,P 13

[2]حيث طول 14 درجة و 40 دقيقة و العرض 33 درجة و 42 دقيقة (أبو الفداء).

[3]محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص 10.

عادت به جنّة و صارت في الغرب تحدو لها الرّكائب

طاب لعمري الهواء فيها لمن في طولي الأيام راغب

شيّد بنيانها فأضحت تلحق بالأنجم ثواقب

لازال يسمو و في يديه مشارق الأرض و المغارب [1]

لم يشهد "التلاليسي" فقط بتضاعف جمال تلمسان بل "يحى بن خلدون كذلك يؤيده حيث يقول : " و بها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة و الصّروح الشاهقة و البساتين الرّائقة ممّا زخرفة عروشه و نمقت فروسه و نوسبت أصواله و عروضه فأزرى بالخورنق و أخجل الرّصافة و عبث بالسّرير و تنصب اليها من علّ أنهار من ماء غير اسن . تتجاذبه أيدي المدانب و الأسرابالمكفورة خلالها ثم ترسله بالمساجد و المدارس و السقايات بالقصور و عليه الدّور و الحمّامات ، فيفعم الصّهاريج ، و يفهق الحياط، و يسقي ريعه خارجها مغارس الشّجر و منابت الحب . فهي التي سحرت الباب رواء ، و أصبت النهى جمالا و وجد المادحون فيها المقال فأطالوا و أطابوا "[2]

كما كان "الثغري" يحب تلمسان ، و ظهر ذلك جليا في التغني بها في شعره ، حيث يقول :

تاهت تلمسان بحسن شبابها و بدار طراز الحسن من جلبابها

فالبشر يبدو من حباب ثغورها مبتسما أو من ثغور حبابها

قد قابلت زهر النّجوم بزهرها و بروحها ببروجها و قبابها

حسنت بحسن مليكها المولى "أبي حمو" الذي يحمي حمى أربابها

ملك شمائله كزهر رياضها و نداه فاض بها كفيض عبابها

أعلى الملوك الصّيد من أعلامها و أجلها من صفوها و لبابها

غارت بغرّة شمس الضّحى و تنقبت حجلا بثوب ضبابها

[1] المرجه نفسه ، ص163.

[2] المرجع السّابق .

و البدر حين بدت أشعتها له حسنا تضاءل نوره و خبابها

لله حضرته التي قد شرفت خدامها فسمت بخدمة بابها

فاللثم في يمناه يبلغها المنى و المدح في علياه من أسبابها [1]

و يضيف أيضا في وصفه لجمال مدينة تلمسان :

رق فيها النسيم مثل نسيبي و صفا النهر مثل صفو ودادي

وزها الزهر و الغصون تثنت و تغنت عليه ورق شوادي

فيه للحسن دوحة ورايا و انشراح لذي فؤاد قريح

و حجار تدعا حجار طبول غير أنّ التّطبيل غير صحيح [2]

كما رسم في القصيدة نفسها أبهى صورة عن تلمسان حينما تطلّ الشمس عليها فقال :

تنشر الشّمس ثمّ كلّ غدو زعفرانا مبلّلا بنضوح

وسبو من هناك يسبي عفولا و يجلّي لحاظ طرف طموح

و عيون بها تقرّ عيون و كلام يسو كلوم الجريح

فرشت فوقها طنافس زهر ليس كالعهن نسجها و المسوح[3]

كذلك يدعونا الهادي السنوسي الزاهري الى التمتع بجمال تلمسان قائلا :

هذي لعمرك يا خلي تلمسان فيهنأ القلب و لتبرحه أشجان

تلك التي أشبع الرّاوي روايته منها و تاريخها تاج و عرفان

تلك التي لم يزل تاريخها مثلا شيّدت به لصروح العزّ أركان[1]

---

[1] المرجع نفسه ، ص165.

[2] أزهار الرياض، أحمد بن محمد المقري ، ج2، مطبعة فضالة-المحمّدية-د.ت، ص334.

[3] المرجع نفسه ، ص335

3- التغنّي بمدينة تيهرت :

"تاهرت" بفتح الهاء و سكن الرّاء و التّاء فوقها نقطتان ، اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب ، يقال: لاحداهما تاهرت القديمة و الأخرى تاهرت المحدثة ، بينهما و بين المسيلة ستّ مراحل ، و هي بين تلمسان و قلعة بني حمّاد و هي كثيرة الأنداء و الضباب و الأمطار ، حتّى ان الشّمس بها قلّ أن ترى[2]، و قد عرفت مدينة تاهرت باسم عراق المغرب أو بلخ المغرب و حتّى العراق الصّغير لانتشار المعرفة بها .

و ممّا قيل في تيهرت نذكر شاعرها بكر بن حمّاد التيهرتي يصف لنا جو تيهرت قائلا :

ما أخشن البرد و ريعانه و أطرف الشّمس بتاهرت

تبدو من الغيم اذا ما بدت كأنّها تنشر من تحت

نفرح بالشميّ اذا ما بدت كفرحة الذميّ بالسّبت [3]

و نذكر قول الأعرابي و هو في زيارة الى تيهرت :

ما خلق الرحمان من طرفة أشهى من الشّمس بتاهرت

و لشاعر مجهول مقطوعة تشمل على أبيات غزلية صوّر فيها حضارة تيهرت الزائلة ، يقول فيها :

فراغ الهوى شغل،ومحيا الهوى قتل ويوم الهوى حول،وبعض الهوى كل

وجود الهوى بخل ،وسل الهوى عدى وقرب الهوى بعد،وسبق الهوى

مطل سقى الله تيهرتالمنى و سويقة بساحتها غيثا يطيب به المحل

كأن لم يكن و الدار جامعة لنا و لم يجتمع وصل لنا لا ولاشمل

فلمّا تمادى العيش و انشقت العصا تداعت أهاضيب النوى وهي تنهل

---

[1] تاريخ الجزائر العام: د.عبد الرحمان بن محمد الجيلالي-دار الثّقافة-ط6-ج2-بيروت-1978-ص236.

[2] ياقوت الحموي ،معجم البلدان، م4،دار صادر،بيروت،دط،دت،ص21

[3] بكر بن حماد التاهرتي، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، جمعه و شرحه: محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم،ط1966،1،ص61.

سلام على من لم تطق يوم بيننا سلاما و لكن فارقت و بها ثكل

في قصيدة أخرى ، دخل أعرابي من أهل اليمن يقال له أبو هلال ثم خرج الى أرض السودان فأتى عليه وهج و حرّ شديد و سموم في تلك الرّمال فنظر الى الشّمس و قال : "أما و الله لأن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت و أنشد :

ما خلق الله من طرفة أسمى من الشمس بتاهرت [1]

4-التغني بمدينة بجاية :

كان العصر الحمّادي عصر النضج الأدبي و الثّقافي "و قد أسّسها حمّاد بن بلقين سنة 398هـ في مكان طويل جنوب برج بو عريريج و دامت في ازدهار الى أن خرّبها الموحدون"[2] ، و أشهر ما نبغ في هذا العهد محمد بن حمّاد كام عالما و شاعرا، و ممّا قاله في وصف عمران مدينته:

و قد قام المنار [3] على ذيراها كما قام العروس أو الأمير

بناء يزدري ايوان كسرى و الحورنق و السدير [4]

ازدهرت مدينة بجاية في عهد المنصور ازدهارا كبيرا حيث نعمت بالرّخاء و الازدهار الاقتصادي و التجاري ، فكما كان النّاصر من أعظم ملوك افريقيا كانت بجاية من أعظم مدنها و قد بقي قصر اللؤلؤة الذي يقول فيه ابن خلدون بأنّه " من أعجب قصور الدّنيا ، و قد بنى النّاصر فيها المباني العجيبة المولفة و شيد المدارس العظيمة" [5]

و من روعة جمالها يصفها الشّاعر ابن الفكون بجنة الخلد ، و يجد فيها أهله و ولده فجنة الفردوس فيها البقاء الدّائم ، و الطبيعة الخلابة الموجودة بها فهي محل ايهام الشعراء و الأدباء :

عشونا الى نار الربيع و انّما عشونا الى نار النّدى و المحلّق

---

[1] ياقوت الحموي ، مصدر سابق، ص88 و للاستزادة ينظر المراكشي (الاستبصار في عجائب الأمصار) نشر و تعليق زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية العامة ، افاقريبة،العراق،1981،ص66-67.

[2] رابح بونار،المغربالعربي،تاريخه و ثقافته،ج2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ط2،1981،ص285

[3] من أهم قصور القلعة،يشتمل على العديد من المرافق

[4] مبارك الميلي،تاريخ الجزائر القديم و الحديث،ج2،التقديم و التصحيح:محمد الميلي،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،دط، 1976،ص635.

[5] ينظر: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر : العلامة عبر الرحمان بن محمد بن خلدون-منشورات مؤسسة الأعلامي للمطبوعات بيروت –دط- لبنان-1971-ج6-ص175

ركبنا بواديه جياد زوارق نزلنا اليها عن ضوامر سبق

ولما نزلنا ساحة القصر راعنا بكل جمال مبهج الطرف مرتق

فما شئت من ظل و ريف و جدول وروض متى تلمم به الريح يعبق

و شادي مغاني الحزن في نغماته يطارحه هدر الحمام المطوّق

فيا حسن ذاك القصر لازال اهلا و ياطيب ريّ نشره المتنشق

رتعنا به في روضة الأنس بعدما هصرنا به غصن المسرّة مورق

لمثلها من منزه : و نزاهة يجرّر ذيل الذيل كل موفق

كما يحكي البلوي دخوله مدينة بجاية في قوله : دخلت بجاية المحروسة في يوم الأحد السابع عشر لشوال: فنزلت بها في قصر من الدّيار،و دار من القصور،دار تخجل منها الدّور، وتقاصر عنها القصور، و تقر لها بالقصور:

دار مشى الاتقان من تنجيدها حتّى تناسب روضها و بناءها

مرموقة الجنبات ذات قرارة يمتد قدّام العيون فضاءها

مازال يضحك دائما نوارها في وجه ساحته و يلعب ماءها[1]

5- التغني بمدينة المسيلة :

مدينة المسيلة تقع على واد يقال له وادي سهر ،فيه ماء عظيم منبسط ، و عليه كروم و أجنة كثيرة ، مرحلتان. و منها الى مدينة الرمانة:قديمة ،ينفجر تحتها عيون ثارة طيبة، مرحلة.و منها الى هاز: و هي قرية كانت قديمة و عظيمة ، مرحلة.و منها الى تاهرت القديمة :أربعة مراحل و هو الذي عاصر عملية بناء المحمّدية و فضل كتابة المسيلة في كتابه صورة الأرض باعتباره عاش خلال القرن الرّابع الهجري و يعتبر من أحد عيوب العبيديين ، و

[1]: أبو الحسن علي بن محمد،وقد ذكره البلوي بأنه المشهور بالحمى و لكن الصّحيح هو المشهور باللخمى و هو علي بن محمد الربعي، أبو الحسن المعروف باللخمى،فقيه مالكي له معرفة بالأدب و الحديث،قيروانيالأصل،نزلسفاقس و توفى بها، له تعليق كبير على المدونة في فقه المالكية سماه التبصرة أورد فيه اراء خرج فيها عن المذهب، وله كتاب فضائل الشّام .علي بن محمد التمكروتي:النفحة المسكية في السفارة التركية / أدب الرحلات،حققها و قدّمها محمد الصالحي مغربي،ط1،2007،دار السويدي للنشر،أبوظبي،ص152،البلوي،هي الدروع الأمامية، ص138

المقريزي [1] في كتاب اتعاض الحنفاء باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، أو من المذهب السني مثل البكري[2] في كتابه المسالك و الممالك و ابن الأثير[3] في كتابه الكامل في التاريخ ، و ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب ، و غيره ممن ذكروا المدينة باسم المسيلة ، حيث كتبت بفتح الميم و كسر السين و الياء السّاكنة و اللام بفتحة و الهاء السّاكنة ، عند كل من ياقوت الحموي[4] و البكري و القلقشندي و ابن خليكان و غيرهم .

لذلك من الأرجح أن الكلمة بربرية و ان ارتبطت بالمسيل المائي العربي الكلمة بدليل زوال الاسم الجديد "المحمّدية" و اختفاءه حتّى من الكتابات التاريخية التي جاءت بعد القرن الرابع هجري ، و استمرارا اسم المسيلة مكانه ، و على هذا الأساس فانّ مدينة المسيلة كانت موجودة قبل و خلال عملية بناء المحمّدية ، و وجه الرّبط هو بناء المحمدية بجانب مدينة المسيلة على جانبي وادي القصب أو وادي سحر و وادي الذهب المعروف عند سكان المسيلة لحي الأشياخ ، في الوقت الذي استمرت فيه مدينة المسيلة البربرية في موضعها الحالي في احياء خربة تليس وشتاوة و العرقوب و الكراغلة .

و من خلال ذلك لا نستبعد من أن اسم المسيلة تزامن جنبا الى جنب مع اسم المحمدية ، فوجد هذا مع وجود اخر كما رضي به العبيديون ، و لم يذكر على من سمى به المدينة ، بدليل قول شاعرهم أحمد بن محمد الماروذي ، مادحا اياها :

ثم الى مدينة مرضية أسّست على التقوى محمديه

أقبل حتّى أحلّها ضحيّة بالنّور من طلعته المضيئة

فحل في عسكره المسيلة في هيئة كاملة جميلة

وجه الدّلالة من هذه الأبيات الشعرية الثلاثة الى ما ذهبنا ، هو كون هذا الشّاعر يمدح العبيديين و المدح لا يكون الاّ بالصّفات و الأسماء التي يحبها الممدوح و يفتخر بها هذا الأخير ، اذ من جملة ما ذكر من الأسماء في هذا السّياق من المدح: اسم مدينة المسيلة .

[1] المقريزي:اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج1،ص72.

[2] البكري:المسالك و الممالك،ج2،ص239.

[3] ابن الأثير: الكامل في التّاريخ ،ج6 ،ص718.

[4] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج3،دار صادر،بيروت،ص172.

6-التغني بمدينة الجزائر :

هي مدينة تستوقف بحسنها حسن الناظرو يقف على جمالها خاطر الخاطر، لما منظر معجب انيق، برية بحرية وثيقة البنيان، و من اجود ماقيل فيها قصيدة ابن ابي راشد، يقول:

سقى المطر الهطال ارضا تشرفت بمصر غدت للفضل و الفخر جامعة

بمزغنة الفيحاء تظهر من مدى ترى كسقيط الثلج بيضاء ناصعة

بنور السما أبراجها قد تألقت تروقك من أفق جنة طالعة

تراها على وجه البسيط أنجا و أغصان أشجار ترنح نافعة

وحيث الربيع الغضّ ثم شبابه ترى أرضها تبدي الغصارة ناجعة

وحيث بدا كسرى الرياض متوجا بثلج نوار فهي صفراء فاقعة

دواليها تسقي الغصون فتنثني حمائمها تشدو على القضي ساجعة

و ماهي الاّ جنّة قد تأرّجت مباخرها بالطّيب و المسك ساطعة[1]

و قد علّق على هذه الأبيات المؤرّخ أبو القاسم سعد الله حيث قال :"و لعلّ هذا الوصف من نوعه في هذه المدينة التي اشتهرت منذ القديم ببياض بنياها و كثرة البساتين حولها و الأبراج ، و وفرة الزهور على مختلف الأشكال "[2]، فشبه الشّاعر حدائق مدينة الجزائر بالجنّة و بياض عمرانها كالثّلج ، في فصل الربيع و الشباب .

كما نجد محمّد المستغانمي الذي نظم قصيدة في بكداش و التي عنونها (الكوكب الثائر في مدح أمير الجزائر)، أما عن مدينة الجزائر البكدشية التي تغنى بها الجامعي قائلا :

فدعني من غرناطة و ربوعها و شنيل فالحسن انتهى للجزائر

فما تفضل الحمراء بيضاء غادة مقرطة بالبدر ذات غدائر [1]

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2،دار الغرب الاسلامي، الجزائر،ط1،1998،ص295-296.
[2]المصدر نفسه ، ص295 .

و قد كثر الشعراء الذين تغنوا بالباشا و بالجزائر أيضا ، فهذا الجهاد هو الذي حرّك مشاعرهم الوطنية فنجد الشاعر ابن أبي راشد يشير الى الجزائر و هو يتحدّث عن الباشا في هذا البيت :

تاهت به أرض الجزائر و اغتدت زهوا به عن غيرها تختال [2]

7- التغنّي بمدينة معسكر :

وفد على الباي أحمد بن محمد بن علال القرومي في مدينة معسكر ، وسجل رحلته في قصيدة حسنة تدل على أن الشعر لو وجد مناخا طيّبا لازاد نماء و ازدهارا ، فقال :

لما التقيت بوافد الحسن البهي يزجى المطايامغربا في عسكر

خاطبته أين المسير فانّني أبصرت ما أدهى و أدهش منظري[3]

و هو بهذه القصيدة يخاطب الباي و يجيد في مدحه على أعماله الجيّدة في ظل حكمه ثمّ تخلّص الى وصف الجامع الذي شيّده في معسكر فقال :

و ترى المدرّس قد علا كرسيّه يلقي على العلماء حي الجوهر

تحويه مدرسة غدت اثارها تحييه بالعلم الشريف الأشعري

تمحي رسوم الجهل من ألواحه تحمي شمائله من الزّور السرّي[4]

المبحث الثّاني : الشعور بالغربة و الحنين الى المدينة :

يعدّ الحنين طبيعة انسانية تتولد في النفس البشرية من خلال حبه و اعجابه لأرضه، فهي تستقطب كلّ تفكيره ، فارتبط حنين الأوطان بكرامة و اعتزاز الانسان، و كانت الغربة أهم شيء يشغل باله[5]، فهو يعبر عن معنى ارتباط الفرد بوطنه و طبيعته [1]

---

[1] المصدر السابق،ج2،ص258.

[2] المصدر نفسه ، ج2،ص258.

[3] المصدر السابق ، ص261.

[4] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[5] يحي الجبوري ،الحنين في الشعر العربي-الحنين الى الأوطان-ط1-الأردن، دار مجدلاوي،2008.

و ظهر شعر الوطن منذ القدم منذ أيام العصر الجاهلي مع الصّعاليك ليتعداه في عصر صدر الاسلام مع الرسول صلى الله عليه و سلمو اشتياقه الى مكة بعد هجرته الى المدينة .

1- الشعور بالغربة و الحنين الى مدينة تلمسان :

تشتمل كلمة الوطن على الديار و الأهل و المنازل و التربة و البرق و الرعد و الماء و الأنهار ، فالشاعر الزياني الجزائري كان سباقا في شعر الغربة و الاغتراب ، فحن الى تلمسان و كل ما يتعلق بهذا المكان من قريب و من بعيد .

الشاعر ابن خميس التلمساني استطاع أن ينتقل الى أماكن تعتبر بعيدة عن بلده ، و قد زادها بعدا عدم وجود المواصلات السريعة التي تمكّنه من الوصول الى حيث يشاء ، فهو تأثر بعصره و بيئته التي كانت تعجّ بالرّحلات ، و هو الذي قال لصديقه ابن الحكيم : " أما كالدم بطبعي أتحرّك في كلّ ربيع"[2]

و قد باح بذلك بعدما اكتوى بلهيب الشوق الى مسقط رأسه فعبّر في شعره عن أماكن كثيرة تنضوي كلها تحت مكان شامل و كامل ، و هو مكان مدينة تلمسان متنقلا بعدما كان من أمره ماكان مع حكّامها ، فتسلله لواذا في احدى الليالي تحت جنح الظلام ، لأنّه حورب من قبل ابن هدية القراشي ، قبل أن تطالع لعنة بني زيان ، و هو ما يعني أن الأحداث السّياسية العسكرية قد أثرت على نفسية الشّاعر ، و هو القائل في حنينه الى تلمسان و هو بالأندلس في سنة 706 هـ :

سل الريح ان لم تسعد السفن أنواء اذا ما مضى قيظ بها جاء اهراء

يطنب فيها عائثون و خرّب و يرحل عنها قاطنون و أحياء

كأن رماح الناهبين لملكها قداح، و أموال المنازل أبداء[3]

و من جهة أخرى فانّه يعيش بالأندلس الساحرة بسمائها و هوائها و مياهها و بساتينها فأينما اتّجه رأى ما يذكره ببلدته فتجيش عيناه و تهيج أشجانه فينفجر خاطره كالبركان حنينا و أشواقا ، و هذا ما نواه في قصيدته[1].عن تلمسان بقوله في قصيدته الحائية التي يتشوق فيها الى تلمسان يقول :

---

[1]:أم الخير تيجينيمظاهر الحنين في شعر الشاعر القروي(رشيد سليم الخوري)الحنين الى الوطن أنموذجا .أنتربولوجيا الفكر و الأدب، ص.78

[2]موسوعة ارشاد الحائر الى اثا أدباء الجزائر : د.محمد بن رمضان شاوش-ود.الغوتي بن حماد-ص117.

[3]المرجع السابق ، ص 175.

تلمسان جادتك السحاب الروائح و ارست بواديك الرياح اللواقح

وسحّ على ساحات باب جيادها ملث يصافي تربها و يصافح

يطير فؤادي كلما لاح لامع و ينهل دمعي كلما ناح صادح

ففي كلّ شفر من جفوني مائح و في كلّ شطر من فؤادي قادح

فما الماء الاما تسح مدامعي ولا النار الا ما تجن الجوانح

خليلي لا طيف لعلوة طارق بليل ولا وجه لصحبي لائح

و ان انس لا انس الوريط وقفة انافح فيها روضه و افاوح

مطلا على ذاك الغدير و قد بدت لانسان عيني من صفاه صفائح [2]

قد هام الشّاعر في جمال تلمسان و ذاب في محاسنها ، فهو يجد في الحديث عنها سلوى للنفس و تنفيسا عن الكرب ، فهو حينما يتذكرها تجيش عيناه و تهيج أشجانه فينفجر خاطره كالبركان حنينا و اشواقا و كان أبو حمو موسى الثاني حينما انتصر و دخل تلمسان و بويع من طرف أهلها و تربّع على عرشه مفتخرا :

دخلت تلمسان التي كنت أرتجي كما ذكروا في الجفر أهل الملاحم[3]

و يبدو لنا من وقفات الشعراء أن مدينة تلمسان لها أثر خفي على النّفوس، فهي تتلذّذ بتعذيب قاطنها و ضاعنها ، فتلمسان في القلب النابض و الدّم السّائر في جسم الشّاعر و هي التي تولي لديه تلك الصّور الحقيقية التي يعبّر عنها في قلب شعري رائع فكان بعده عنها هو انتحار له و موت و اختفاء من على وجه الأرض و سبب هذا الموت هو راجع الى مناكب الدهر اذ فرقه عن أحبّته من رفاق و أمكنة عاش فيها ابن خميس :

و طوح بي عن تلمسان ما ظننت فراقي لها أن يتاحا

و أعجل سيري عنها فلم يدعني أودع تلك البطاحا [1]

1ينظر: ابن خميس شعره و نثره :د.طاهر توات–ص107.

2: لواقح:جمع لاقحة و المراد أنّها تحمل لقاح النبات .

3ينظر: تاريخ الأدب الجزائري–محمد الطمار–ديوان المطبوعات الجامعية– دط–الجزائر–2000–ص216.

فالزمان بكلّ أحداثه و مصائبه جعله يخضع لأحكامه فيتمثل لها دون دفاع و بلا سلاح ففرّق بينه و بين أهله دون أن يلومه لائم فخرج و غادر تلمسان و ماكان يظن ذلك واقعا أبدا طرد منها برجلة فلم تتح له فرصة توديع تربتها و أمكنتها .

بلغ به شوق تلمسان الى حدّ بعيد جعله يذكرها في معظم قصائده ذكرا دقيقا بشخصها و هو يصف حالها و يشبهها بحال المريض المقبل على الموت و ماكانت هذه الحالة في حقيقة الأمر الّا حالة و هو بعيد عن أهله و وطنه .

فكان يستشف أخبارها من كلّ قادم منها حتّى طمع في نسيم الرّياح و ما قد تحمله من ذرات أصلية من تلمسان فهو القائل :

تسلو الريح ان لم تسعد السفن أنواء فعند ضباها من تلمسان أبناء [2]

لطالما حاول الشّاعر كتمان حزنه و لوعته على بلده لكن صدا الكتمان لم يدم طويلا اذ لم تستجب الدموع له و أهلت من عينه فاضحة له :

كتمت هواها ثم برح بي الأسى وكيف أطيق الكتم و الدّمع فاضح[3]

يشيد بالأماكن المجيدة العريقة الموجودة في تلمسان عن العباد و الوريط و جمال طبيعتهم و ما يحيط بها من بساتين و سواقي :

أرقّ من الشّوق الذي انا كاتم وأصفى من الدّمع الذي أنا سافح[4]

يتذكر الشاعر أبو حمّو أيام صباه و لعبه في رياض بلدته، يقول:

أوما رأيت الروض أمسى مقفرا لعبت به ريح الصّبا و الشمال

---

[1]ابن خميس شعره و نثره : د.طاهر توات–ص52.

[2]أنظر:تاريخ الجزائر العام:د.عبدالرحان بن محمد الجيلالي.ص50.

[3]ابن خميس شعره و نثره :د.طاهرتوات ، ص57

[4]المرجع نفسه ، ص58.

في صورة حنينية رائعة معبرة عن شوق ابن خميس لبلدته و هو في الأندلس ، مستعملا الطيور و الرياح ، ففي كل جفن دمع مالح قارح يبكي غربة و حنينا الى تلمسان ، يقول:

أطار فؤادي برق ألاحا فما (هزّ) بعد لو كرّ نجاحا

كأن تألقه في الدّجا حسام جبان في الكفاحا

أضاء و للعين اغفاءة تلذ اذا ما سنا الفجر لاحا

يصوّر لنا فؤاده في صورة الطّائر المكسور الجناح المغلوب على أمره تارة و تارة أخرى في صورة الجندي المكافح صاحب الحسام الصّقيل ، لكن ليس له حلّ سوى الاستسلام . فهو يسأل الريح عن أخبار مدينته ، فلعلها حاملة أنباء من الغرب الجزائري ، ففي خفقان البرق اشارة اليها .

فابن خميس ينظر الى الشعر على أنه تنفيس عما يصطرع في نفسه من نوازع الرّهبة و الرّغبة و التأرجح بين الأمل و اليأس، و تعبير عمّا تحمله من اضطراب و قلق و ما تعانيه من حرقة و ألم و اغتراب فما الشعر عنده الا نفثة مصدور اضطرمت نيران الألم بين جوانحه فراح يصعد الأنفاس لعله يقذف لفحها ، و يطفئ لهيبها . ففي ختام قصيدته التي تبدو أنها في وصف ذكرياته التي عاشها في بلده تلمسان و يشكو حنينه اليها ، يقول متحدّثا عن شعره : [1]

يا نفثة المصدور كم لك قبلها من زفرة بين الجوانح تسفع

فعساك تنقع غلة بك انها بجحيم ما أسلبته لا تنقع

لله أنت مذاعة أودعتها من كل سرّ بالضمائر يودع

و كان ابن خميس رحمة الله عليه ، بعد مفارقته بلده تلمسان كثيرا التشوق لمشاهدتها و يتوه عند تذكره لمعاهدها و ينشد القصائد الطنانة في ذلك سالك من الحنين اليها المسالك، فمن ذلك قوله:

تلمسان لو ان الزمان بها يسخو منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ

و داري بها الاولى التي حيل دونها منار الاسى لو امكن الحنق اللبخ

[1] المنتخب النفيسمن شعر ابن خميس :عبد الوهاب بن منصور، ص 114، ط1 ،مطبعة ابن خلدون تلمسان، 1365 هـ

و عهدي بها والعمر في عنفوانه وماء شبابي لا اجين لا مطخ

فرارة تهيام و معنى صبابة و معهد انيس لا يلذ به لطخ

اذ الدهر مثنى العنان منهته ولا درع يثنى من عناني ولا ردخ

ليالي لا اصغي الى عذل عازل كان وقوع العدل في اذني صمخ

معاهد انس عطلت فكانهاظواهر الفاظ تغمدها النسخ

و اربع الاف عفا بعض اياتها كما كان يعرو بعض الواحنا اللطخ

فمن بك سكرانا من الوجد مرة فاني منه طول دهري الملتخ

ومن يقتدح زندا لموقد جذوة فرند اشتياقي لا عفار ولا مرخ [1]

ويصف التلاليسي وادي الصفصيف الذي كان منبعا للاشعار من الاغراض ، فكان مثيرا للمدح و الوصف، وهو يعود بنا الى الزمن الماضي ايام شبابه وطفولته الذي قضاها بتلمسان ، قائلا:

وكم ليلة بتنا بوادي صفصفيها الذي **تسامى**على الانهاراذعدمالمثلا[2]

وفي صورة اخرى تجمع بين الشوك والابر يمثل لنا حالة فراشه يقول

واستجلب النوم الغرار و مضجعي قتاد كما شاءت نواها وسلاء

لعل خيالا من ليدها يمر بي ففي مرة من جوى الشوق ابراء [3]

فتمر الليالي على ابن خميس، وهو ينتظر سماع اخبارها ففي كل ليلة يحن لها حيث تستهويه تلمسان فصور لنا بلدته وكانها نجم في السماء يستهوي كل واحد فينا ، يقول :

تمر الليالي ليلة بعد ليلة وللاذن اصغاء وللعين اكلاء

[1] احمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب م7 ص 345-346

[2] احمد المقري نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ج7ص130

[3] عبد الوهاب بن منصور المنتخب النفيس من شعر ابي عبد الله بن خميس ص

واني لاصبو للصبا كلما سرت وللنجم مهما كان للنجم اصباء [1]

ففي قلبه نار تشعل جوانحه ، و دمع يكتسح عيناه فلا طيف يصبره على شوقه ولا نجم جانح من الغرب الجزائري ، يقول :

فما الماء الا ما تسح مدامعي وما النار الا ما تجن الجوانح

خليلي لا طيف لعلوة طارق بليل ولا وجه لصبحي لائح

نظرت فلا نور من الصبح ظاهر لعيني ولا نجم الى الغرب جائح [2]

فالقرح والدمع يلهب نار ضلوعه حنينا و شوقا لبلدته، يقول:

اتى تستفيض دموعي امتياحا ويلهب نار ظلوعي اقتراحا[3]

فطوحوا بابن خميس في تلمسان، فلم يكن على علم بكل ما حدث له فالم الفراق طغى عليه وطال عنه الحال ، يقول :

وطوح بي عن تلمسان ما ظننت فراقي لها ان يتاحا[4]

يحن شاعرنا الى تلمسان و يبكي عليها فهو يموت عطشا لشدة الشوق و يشرب شوقا لدرجة الامتلاء، لانه بعد عنها متكرها و مرغوما، يقول:

احن اليك اذا سفت ريحا وابكي عليك اذا ذقت راحا

وافنى التياحا اليك وكم اشحت بوجهي عنك انتشاحا[5]

فلم يبخل شوقا عن تلمسان و هو بالغربة :

فلم يلف دجن انتحابي شحيحا ولم يلق زند اشتياقي شحاحا[1]

---

[1] المصدر نفسه ص 62

[2] عبدالوهاب بن منصور المنتخب النفيس من شعر لبي عبد الله بن خميس ص 85

[3] المصدرنفسه ص 89

[4] المصدر نفسه ص 93

[5] عبد الوهاب بن منصور المنتخب النفيس من شعر ابي عبد الله بن خميس ص 90

و عن حنين الشاعر أبو حمو موسى لساقية الرومي (ساقية النصراني، بوماريا : من منتوهات تلمسان ، و تعرف بأشجار التفاح الجميلة و هي مقصد للعائلة التلمسانية) ،فكم من ليلة و كم من عشية راح ، و كم من يوم غدا وراح يتارجح حبا وتدللا على ضفافها ذات المنظر الجميل والماء الصافي ، يقول :

لساقية الرومي عندي مزية و ان رغمت تلك الروابي الرواشح

فكم لي عليها من عدو و روحة تساعدني فيها المنى و المنائح[2]

و هو سارح في بساتينها و عينه جامحة على ميادينها الخلابة ، تهفو كل أفكاره و هو يستعمل الطيور و يترجم عواطفه و يقول :

فطرفي على تلك البساتين سارح و طرفي على تلك الميادين جامح

تحاربها الأدهان و هي ثواقب و تهفو بها الأفكار و هي رواجح

وضباء مغانيها عواط عواطف و طير مجانيها شوادصوادح [3]

كذلك في حنينه الى قرية العباد العتيقة التي تقع في شمال المدينة "على سفح جبل شديد الانحدار"[4] ، كانت مقصدا للثوار و مكانا للزهاد و المتصوّفين ،يرسل الشاعر كل يوم تحية تفوح مسكا، حيث يقول :

على قرية العباد مني تحية كما فاح من مسك اللطيمة فائح

وجاد ثرى العرفين ديمة تغضّ بها تلك الربى و الأباطح

اليك شعيب بن الحسين قلوبنا نوازع لكن الجسوم نوازح[5]

---

[1]لمصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

[2]عبد الوهاب بن منصور (1965:المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس.ط1.تلمسان:ابن خلدون .ص86)

[3]المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[4]يحي بوعزيز.(2009.المساجد العتيقة في الغرب الجزائري.طبعةخاصة.دار البصائر.ص116).

[5]عبد الوهاب بن منصور (1965:المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس.ط1.تلمسان:ابن خلدون .ص86).

تبعد شلالات الوريط عن مدينة تلمسان بسبع كيلومترات، يقع في منطقة جبلية ، و يعد من أعلى شلالات الجزائر ، فان نسي شاعرنا لا ينس وقوفه على الوريط و هو يشم رائحة زكية تنبع من روضه الخلاب ، المطل على الغدير الصّافي و كأنه صفيحة من بعيد ، يقول :

و ان أنس لا أنس الوريط ووقفة أنافح فيها روضه و أناوح

مطلا على ذاك الغدير و قد بدت لأنسان عيني من صفاه صفائح[1]

و يشعر يقرحة في قلبه زخرفت شوقا غائما و هو شاهق عليها سافح الدمعة ، يقول :

أماؤك أم عيني ؟ عشية صدقت عليه فينا ما يقول المكاشح

لئن كنت ملايا بدمعي طافحا فانيّ سكران بحبك طافح

وان كان مهري في تلاعك سائحا ذاك غزالي في عبابك سايح

قراح غدا ينصب من فوق شاهق بمثل حلاه تستحث القرائح[2]

ان المتأمل في هذه النصوص الشعرية يلحظ تفوق عنصر الماء على شاعرنا ، و علاقة الدال بالمدلول عزفت على قيتارة طبيعية حنينية ، أنغامها أنهارا و شلالات مياه تطرب السّامع بألحانها و تريح القلوب بصفائها .

أباطح وادي الصفصاف هي الذي تسيل ماءه متفجرة الحق في أنهاره ، روضة صارم شيد للأفراح فقط ، يقول :

أم أبطح الصفصاف سال بماءه فجرت بحق في الحمى أنهاره

روض كان النهر فيه صارم قد شيم للأفراح منه غراره[3]

[1] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[2] المرجع نفسه ، ص98.

[3] مجهول.(دت.زهر البستان في دولة بني زيان.دط.تلمسان) ، ص286.

ننتقل مع الشاعر من ضواحي تلمسان لندخل الى وسط المدينة و هو سوق القيسارية اليوم ، الذي تركه لا عن تهاون بن مرغم عن نفسه، فراح يتذكر كيف كان يمشي بين أرجاءه و قلبه سائح فيه سارح ، طامع في ولاءه ينتظر اشارة منه و همة فيه ،" فمتى تنقضي ديوني لأعود الى بلدي، فقد وجهت اعتذاري لهم" ، يقول :

تركت سوق البز لا عن تهاون و كيف وظبي سائح فيك سارح

وانّي و قلبي في ولاءك طامع وناظر وهمي في صماطك طامح

أيأهل ودّي و المشير مؤمن اتقي ديوني أم غريمي فالح

و هل ذلك الظبي النصاحي للذي يقطع من قلبي بعينه ناصح

كنيت بها عن عناء و حشمة ووجه اعتذاري في القضية واضح[1]

الشعور بالغربة و الحنين الى مدينة تيهرت:

يقول سعيد بن أشكل في حنينه الى تيهرت و شوقه لها :

نأى النوم عنّي واضمحلت عرى الصبر واصبحت عن دارالأحبة في اسر

وأصبحت عن تيهرتفي دار غربة و أسلمني مرّ القضاء من القدر

الشعور بالغربة و الحنين الى مدينة بجاية :

قلعة بني حماد التي اختطفها حماد الصنهاجي عام (398هـ-1007م)و بنى بها قصر الكوكب السلام و قصرا اخر باسم بلارة بنت تميم بن المعز بن باديس التي تزوجها الناصر بن عناس عام (470هـ-1077م) من سلالة بني حماد أمراء القلعة و بجاية ، " نشأ بالقلعة و بها تلقى دروسه الأولى"،كل هذا المجد انهار في زمن يسير و حلّ محله الخراب و الدّمار، و كذلك عمر الانسان يمر كالطيف ، و المقطوعة رغم قصرها فانها تكاد تعطي وصفا شاملا للقلعة ، و حنّ الشاعر محمد بن حماد الى اثار أجداده بالقلعة ، فقال :

[1]عبد الوهاب بن منصور (1965:المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس.ط1.تلمسان:ابن خلدون .ص88)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي الجوى ما بين تلك الجداول ؟

و هل أسمعنّ تلك الطيور عشية تجاوب في تلك الغصون البلابل ؟

وهل أردن عين السلام على الصّدى فأبرد من حر الضلوع النواهل ؟

و انظر طيقان المنار مطلة على الواصنات الزاهرات الخمائل؟[1]

كأن القباب المشرقات بأفقه نجوم تبدت في سعود المنازل

فان ثنت الأيام عنها أعنتي و أنزلتني في غير تلك المنازل

فصبر جميل غير أن صبابتي ستبقى بقاء الطالعات الأوافل [2]

ثم يواصل بكاءه متذكرا مجالس قومه ، و قد ذهب الزمان بهم حتى المكان المقدّس قدبلتاياته :

و مجلس القوم قد ذهب الزمان به بحادث قل فيه الحادث الجلل

و ان في قصر–قصر الملك– معبرا لن تغرره الأيام و الدّول

وما رسوم المنار الان مائلة لكنها نبذ يجري بها المثل

حتى المصلّى بلت اياتها و عفت الّا جدارا و ما طلت به الطّلل[3]

الشعور بالغربة و الحنين الى مدينة المسيلة :

في هذه المدينة نتوقف عند شاعرها ابن هانئ الأندلسي متحسرا على مفارقته لمدينة الزاب ، يقول :

خليليّ أين الزاب مني و جعفر وجنات عدن بنت عنها و كوثرا

فقبلي نأى عن جنة الخلد ادم فما راقه من جانب الأرض منظرا[4]

[1]موسوعة ارشاد الحائر الى اثار أدباء الجزائر: د.محمد بن رمضان شاوش-ود.الغوثي بن حماد-ص117.
[2]المرجع السابق ، الصفحة نفسها
[3]محمد الطمار،الأدبالجزائري،تقديم:عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،دط،2007ص108
[4]شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي"عصر الدول و الامارات:الجزائر،المغرب الأقصى،موريتانيا،السودان"،ج10، دار لمعارف،القاهرة،ط1995،1،ص122.

فقد فارق الزاب و نهرها الكوثر كما فارق سيدنا ادم جنة الخلد من قبله ، فما راقه من جانب الارض منظرا [1] ،يقول :

ثم الى مدينة مرضية أسست على التقوى محمّدية

أقبل حتّى حلّها ضحيّة بالنور من طلعته المضية

يحل في عسكره المسيلة في هيئة كاملة جميلة

النصر في أرجائه مخيلة بنعمة من ذي العلى حليلة [2]

يقصد الشّاعر المسيلة ، فهي كانت تسمى قديما المحمدية ، فهي مدينة مرضية ، أسست على التقوى ، و قد أقبل عليها بالنور في طلعة مضيئة، في هيئة كاملة محاط بالعساكر و النصر في أرجائه .

المبحث الثالث : رثاء المدينة و ذكر ما المّ بها

كان الرثاء قديما يؤلف لرثاء الموتى و يبكيهم حرقا و ندبا و تحصرا على فجاعة الاهل والاقارب ، فسرعان ما تطوّر و تعدى ذلك لرثاء المدن و الحضارات الزائلة ، فيمكن اعتبارها قيمة انسانية قد تجاوزت الفردية .

فقد مرّ الرثاء في الشعر الجزائري القديم مثلما مر به في الشعر العربي ، فكثيرا من الشعراء نطموا في هذا الغرض ، فنتج عن ذلك رثاء الملوك و رثاء المدن و رثاء النفس .

1-رثاء مدينة تلمسان و ذكر ما ألم بها :

يسير ابن خميس التلمساني الى الجرح الذي أصيب بلدته ، و المحنة التي تسببت في خراب مدينته ، فيصوّر لنا الحصار المريني الطويل الذي دام أكثر من عشرة سنين على تلمسان ، فراح يسرد شدة البلاء التي ألمت بها، و يصوّر لنا الحالة التي أصبحت فيها دولته ، يقول :

لعشرة أعوام عليها تجرّمت اذا ما مضى قيظ بها جاء اهراء

يطنب فيها عائثونو خرّب و يرحل عنها قانطون و تناء [1]

[1]المصدر السابق،ص ن .
[2]اسماعيل العربي،المدنالمغربية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ص165.

فانقضى الشاعر عشرة أعوام على تلمسان ، عايش شدّة الحرّ و البرد و شدّة القتال ، فسرعان ما صارت خرابا و فسادا ، فصوّر الرماح في صورة الحديدة التي تشعل نارا ، و الأموال في صورة الشاب العاقل الطائع ، يقول :

كأن رماح الناهبين لملكها قداح و أموال المنازل أبداء[2]

فصارت خرابا، فصوّر لنا الجماد باكيا ، بعدما كانت شمسا و نسخت ظلالا ، يقول :

فلا تبغين فيها مناخا لراكب فقد قلصت منها ظلا و أفياء[3]

يتحصّر الشاعر على مدينته التي راحت ضحية الحرب و الهلاك ، فهل يأتي ذلك اليوم الموعود الذي تنقضي فيه أيام البأس و تعود تلمسان كما كانت من قبل و ضياء النور على وجوه البشر ، يقول :

و هل للمظى الحرب التي فيك تلتظي اذا ما انقضت أيام بأسك اطناء

وهل لي زمان ارتجي فيه عودة اليك و وجه البشرأزهر وضاء[4]

و يندب على الحرب التي هلكت المدينة ، يقول :

فوا حربا لي انهلكت ولم أقل لصب خير بها الغرّ الكرام الاهاؤا[5]

فلم يمرّ وقت طويل و تحقّقت أمنية ابن خميس و انفكّ الحصار بعد قتل يوسف بن يعقوب على يد خادمه "و كان من الاتفاق الغريب ، سرعة وقوع ما تمناه" ابن خميس" لتلمسان هذه من الخير ، بعد طول المحنة و اشتداد البلاء ، و لم يتأخّر ذلك عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر"[6]، فصحيح كما قيل بعد الصّبر يأتب الفرج ، فنال شاعرنا ما ابتغاه فعاد السّلام و الأمن لتلمسان ، فقد نقل لنا صورة صادقة تنعدم فيها الرّحمة ، فهو عاش هذه التجربة و كان شاهدا على ضمارها .

و في صورة أخرى يبكي الشّاعر و ينوح على تركه لتلمسان ، و هو يذرف دموع القراح ، يقول :

---

[1] عبد الوهاب بن منصور،المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس ، مطبعة ابن خلدون، تلمسان،ط1365،1،ص63.
[2] المصدر السابق ، ص 63.
[3] المصدر نفسه ، ص ن .
[4] المصدر نفسه ، ص64.
[5] المصدر نفسه ، ص ن .
[6] أحمد المقري ، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2،ج3،طبعه و حققه و علق عليه : مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة فضالة، دط، دت،ص 336.

ينوح عليا و أبكي له و أقطع ليلي بكا و نياحا [1]

يبكي الشاعر أبو حمّو على كلّ جزء في مدينته ، يقول :

خلت المعالم و الطاول دوارس ودوى الرياض وكلّ ربع قدبل[2]

هذه هي تلمسان التي أبكت كلّ الشعراء ، فالشاعر أبو حمّو يشكو همّه ويرثي أيّامه التي قضاها بها ، فهو ينوح و يبكي و ببكاءه أبكى صمّ الجندل ، يقول :

فنشرتها عن حالها فترنّمت وبكت وأبكت صمّ صخر الجندل

فحرقة و لوعة في قلبه و دمع يسيح و زفرة لا تنقضي و سهر أفناه، يقول:

كم حرقة كم زفرة كم لوعة يحلو لديها كلّ صعب مذهل

دمعي يسيح و زفرتي لا تنقضي والسهر انحلنب وعذل العذل(120)

فلو ذاق قاس القلب الناس مرارتهم مرارة ما عاشه شاعرنا لأصبح سكرانا ، يقول :

و لو ذاق قاسي القلب ما قد ذقته لغدوا سكارى في محمل مهمل(121)

ثمّ ينوح على روض بلدته و قد أمسى مقفرا فلطال ما لعب به و هو طفلا، يقول :

أوما رأيت الروض أمسى مقفرا لعبت به ريح الصبا والشمال(122)

يتحصّر و يتأسّف ابن خميس على الأيام التي قضاها في مدينته و مضت بسرعة ، يقول :

لله أيّام بها قضيتهضا قد كنت أنها لا ترجع

لم لا أضيع بها عهاد مدامعي انّي اذا لعهوده لمضيّع

أرأيتما نفسا تفارق جسمها و به تنعما و لا تتوجّع

[1] عبد الوهاب بن منصور،المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس،ص90.

[2] مؤلف مجهول،زهر البستان في دولة بني زيان"السفر الثاني 760ه-764ه 1359-1363م"، تقديم:محمد بن أحمد باغلي،الأصالة للنشر و التوزيع ،تلمسان،طبعة خاصة، 2011،ص22-23.

اه على جسمي الذي فارقته لا كنت ممن جسمه لا يرجع[1]

يتوجّع شاعرنا على مدينته تلمسان و الأيام التي قضاها بأحيائها و كأنه كان على علم بأن تلك الأيام لا ترجع ، فقد ضيّع عهده بها ، ثمّ يسأل هل رأيتم شخصا يفارق جسمه و هي تنعم و لا يتوجّع ؟ فكأنّه في هذا البيت يبرز شخصيته القوية فقد نفسه راحت مع تلمسان و قد رأى بأنّها جسمه الذي لا يرجع .

و انعرج في الأخير في أن الوصف و الرثاء كلاهما نقلا لنا صورا طبيعية و مشاعر صادقة نابعة من قلوب الشعراء الزيانيين القدامى فالرثاء من أنسب الأغراض الشعرية لتصوير المحن .

كذلك في موضع اخر يرثي ابن الخميس التلمساني مدينة تلمسان و يهجو بني زيان[2]، يقول :

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو منى النفس لا دار السلام و للكرخ

وداري بها الأولى التي حيل دونها مثار الأسى لو أمكن الحنق اللبخ

وعهدي بها و العمر في عنفوانه و ماء شبابي لا أجين و لا مطخ

قرارة تهيام و مغنى صبابة و معهد أنس لا يلدّ به لطخ

اذا الدهر مثني العنان منهنة ولا ردع يثني من عنان ولا ردخ

ليالي لا أصغي الى عذا عاذل كأن وقوع العذل في أذني صمخ

معاهد أنس عطلت فكأنّها ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ

وأربع ألاف عفا بعض الها كما كان يعرو بعض ألواحنا اللّطخ

فمن يك سكرانا من الوجد مرّة فأنيّ بها طول دهري لملتخ

و من يقتدح زندن الموقد جدوة فزند اشتياقي لا عفار و لا مطخ

اانسى وقوفي لاهيا في عراسها ولا شاغل الا التودع و السبخ

[1] عبد الوهاب بن منصور،المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس،ص137-140.
[2] المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس، ص100.

والا اختيالي ماشيا فس سماطها رخيا كما يمشي بطرته الرخ

والا فعدوي مثلما ينفر الطلا وليدا و حجلي مثلما ينهض الفرخ[1]

أظهر ابن المسايب تعلقه الكبير بمكان مسقط رأسه و نشأته مدينة تلمسان، فوصفها في قصائد مطولة منها قصيدة " ربي قضى" و التس تحسّر فيها على ما الت اليه هذه المدينة من جور الحكام و اندثار لأهم اثارها و عمرانه الثقافي، يقول :

ربي اقضى عليها و الوقت أدعاها في السابق المقدّر كان اللي كان

سوايع السعود دارت الأيام معها تنكس الزمان عليها و شيان

عدمت واك فسدت و الظلم اخلاها مدينة الجدار بلد تلمسان

بعد الهنا و بعد الزهو تلمسان

مدينة الجدار أصلها هي من المدون السبعة

الناس كل من يدخلها يستحسن الوطن و البقعة

2-رثاء مدينة وهران و ذكر ما ألم بها :

و مما قيل في رثاء وهران قصيدة محمد بن محمد بن علي بن سيدي المهدي بعد أن ساءت أحوالها ، يقول :

و هل طاوعت (وهران) قبل مملكا سواه فأضحى أنفها و هو راغم

فكم سامها من لا يناهضها و كم حوالي حماها حام بالزور حائم

تملّكها حزب الشقاء و لم يكن زمانا لحزب الحق عنها مخاصم

بها يسمع الناقوس من نحو فرسخ ومن لغة الكفار فيها تراجم

وفي كل يوم صيحة من خيولها ينوح لها الاسلام و الشرك باسم[2]

[1]م نفسه ، ص ن

[2]بسام العسلي،جهاد شعب الجزائر-الجزائر و الحملات الصّليبية-دار النفائس،بيروت،ط1400،1ه-1910م،ص192-193.

يصوّر لنا الشاعر معاناة المسلمسن في وهران و احساسهم بالظلم و الشقاء و عدم قدرتهم على صدّ الكفّار ، يقول "محمد عبد المؤمن":

نادتك وهران فلب ندائها و انزل بها لا تقصدن سواها

وتصرّفوا في المسلمين بما غدا أعجوبة لمن اغتدى يرعاها

أضحى الصّليب مؤيّدا و الدّين قد درست معالمه فلست تراها

جعلوا بها الناقوس في أوقاتهم بدل الاذان و غيروا معناها

كم من أسير حولها لا يفتدى كم من فقير حل في مثواها

يا أيها الملك الذي أيامه غرر غدت بكماله تتباهى[1]

تألم الشّاعر لما أصبح عليه الاسلام ، فأضحت الكنائس بديلا للمساجد و الصّليب مؤيدا و جعلوا الناقوس مكان الاذان في أوقاتهم .

وقف (محمد بن محمد الثغيري الجزائري أبو عبد الله) وقفة تأمل لما الت اليه مدينته متحدّثا عن حصار الكفار و المشركين لوهران :

و قهر القوم اللئام الفجرة ورفع الاسلام فوق الكفرة

يا سائلا عمّا بوهران ظهر من أخذها و فكّها كما اشتهر

أخذها الكفّار بالثبات فيما رويناه عن الثقات

سنة أربع و عشرة مضت من بعد تسعمائة قد كملت

فمائتان مع خمسة سنين عدد مكثها بأيدي المشركين[2]

3-رثاء مدينة بجاية و ذكر ما ألم بها :

[1] المصدر نفسه ، ص190.

[2] بسام العسلي،جهاد شعب الجزائر-الجزائر و الحملات الصّليبية-دار النفائس،بيروت،ط1، 1400ه-1910م،ص.193.

و قد رثا الشاعر قلعة بني حماد بعدما قضى المحون عليها سنة 547هـ-1152م، كما ذكر ذلك العلامة الشيخ عبد الرحمان الجيلالي، و هذه الليلة هي قلعة كبيرة ذات صنعة و حصانة ، تمصّرت عند خراب القيروان، وقد انتقل اليها أكثر أهل افريقيا ،و قد أسّسها (حماد بن بلكين سنة 398هـ في مكان يدعى قلعة أبي طويل جنوب برج بو عريريج، و لم تفتأ أن ازدهر عمرانا و كثر سكانا و صارت مملكة صنهاجة و دامت في ازدهارها الى أن خرّبها الموحّدون[1]

مرّ الشّاعر بأطلال الحمّاديين، فتأثّر تأثيرا بالغا بأمجاد قومه الذين مضوا، و تألم لما أصابه من نكبات، فغمس يرامعه في محبرة أحزانه و أخذ يكتب على صفحة البكاء :

أين العروسين،لا رسم ولا طلل؟ فانظر ترى، ليس الا السهل والجبل

و قصر (بلارة) أودى الزمان به فأين مشاده السادة الأول[2]؟

يقف هنا موقف المتأمّل أمام أطلال أجداده ، يتسائل عن هذا الصّمت المطبّق الذي أحاط بتلك الرّبوع، فلا رسم هناك ولا طلل ،غير سهل مترامي الأطراف ، و جبل شامخ في ألفة و اعتداد، ثم يلتفت الى موضع قصر الخليفة الذي ذهب الزّمان بروعته، فيتزوّد من معين الحكمة بما فيه الكفاية و يبثه شجنه :

قصر خلافة أين القصر من حرب غير اللجين ،و في أرجائها زحل

و ليس يبهجني شيء أسر به من بعد أن نجت بالمنهج السبيل

وقد عفا قصر حمّاد فليس له رسم ولا أثر باق ولا به طلل[3]

هذه الابيات تعرف مستويات خطابية متنوعة، فالشاعر، معلوم من جراء احداث الماضي، راغب في البحث دون هوادة عن اثار قومه ،ذكر قصر الخلافة ،(الام) لكونا الدوحة التي اظلت الحماديين فقيرهم وغنيهم ووضيعهم، لذلك اندمج صاحب الملك السائل وخدن الداثر، في خضم الماساة، وراح ينشئ القوافي الحزينة ،خاصة حينما وجد نفسه وحيدا بين تلك الطلول لايسمع الا الرياح التي تنبعث من ثقوب الارض فيحدث صوتا نغمات الاسى و الضجر، فيتساءل بمرارة عن مال "قصر حماد " الذي كان زاخرا في ما مضى ، يعج بالحركة و ينعم بالحياة

[1] رابح بونار، المغرب العربي،تاريخه و ثقافته،الشركة الوطنية للنقل و التوزيع،الجزائر،ط2، 1981،ص285.
[2] محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري ،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر ، 1981،ط2،ص124
[3] المصدر نفسه ، ص125.

اللذيذة ، وهو الان لا يتراءى له منه شيء يتخذة علالة لنفسه الحائرة الملتاعة، و بلسما يداوي به جراحاته التي نكاها التذكر ، و حركها الدهر بانامله السحرية فتاذى منها شاعرنا المنكوب في اهله و دياره و ملكه الضائع .

ثم يواصل الشاعر نفث مشاعره الحارة، متحدثا عن الماضي الجميل، باكيا اطلال قومه الدارسة مرة ، ونادبا الابطال الغر مرة اخرى،يقول عن مجالسهم و نواديهم :

"..و مجلس القوم قد هبّ الزّمان به بحادث قل فيه الحادث الجلل

و ان في القصر –قصر الملك–معتبرا لمن تغرره الايام و الدول

و مارسوم المنار الان ماثلة لكنها نبذ يجري با المثل

حتى المصلى بلت اياتها و عفت الا جدارا وما ظلت به الطلل[1]

4–رثاء مدينة تيهرت و ذكر ما ألم بها :

و نجد بكر بن حماد يرثي مدينة تيهرت "تيهرت أو تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحدهما تيهرت القديمة و للأخرى تيهرت المحدثة ، و هي كثيرة الأنواء و الضباب و الأمطار"[2]، عاصمة الامارة الرستمية : "تنسب هذه الامارة الرستمية الى "عيد الرحمان بن رستم" القارسيالاباضي ، حيث أسس مدينة تيهرت سنة (144هـ) و أنشأ بها مقرّ دولته"[3] ، فقد كانت "اسلامية في قضائها ، عربية في معارفها ،بربرية في عصبيتها... كثر سكانها و ازدهرت الحياة بها"[4].

و في سنة (296هـ) زحفت عليها جيوش الفاطميين فقتلت أميرها اليقظان بن أبي يقظان و طائفة من أفراد أسرته ، و بقتلهم انقرضت هذه الدّولة من تيهرت و التجأ باقي أفرادها الى الصحراء، فبكاها الشعراء لكن ما وصل من قطع شعرية متناثرة في ثنايا الكتب لشعراء مجهولين أخفوا أسمائهم امّا تقية و خوفا من بطش الأعراب ، و امّا أنّ همهم الوحيد كان تصوير الحادثة دون الاهتمام بذكر أسمائهم فهذا أحدهم يقول :

خليلي عوجا بالرسوم و سلّما على طلل أقوى و أصبح أغبرى

[1]محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري ،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر ، 1981،ط2،ص25

[2]معجم البلدان:ياقوت الحموي-دار صادر للطباعة و النشر- بيروت-1955-مجلد5-ص2.

[3]المغرب العربي تاريخه و ثقافته:د.رابحبونار-الشركة الوطنية للنشر و التوزيع-ط2-الجزائر-1981-ص27.

[4]تاريخ الجزائر قديما و حديثا:د.مبارك الميلي-بيروت-ط2-1959-ج2-ص57.

ألما على رسم بتيهرت داثر عفته الغوادي الرائحات فأقفرا

كأن لم تكن تيهرت دارا لمعشر فدمّرها المقدور فيمن تدمّرا[1]

أبيات شجية و رغبة جامحة في موطن الأمجاد ، أطلقها الشّاعر بعد أن تناهى الى مسامعه أفول نجم تيهرت و تداعي حضارة-ربما-كان من صنّاعها، فهو يتحدث عن رسوم و أطلال عفا عليها الزمن فأصبحت خالية لا تجيب سائلا [2] ، و كان الشاعر يعرف المدينة أيّام عزها ، فلذلك كان وقع المصيبة عليه كبيرا ، و قد نسب خرابها الى القدر، و الأبيات بالرغم من قصرها فهي شديدة الوضوح لما الت اليه المدينة بعد الأحداث التي ألمت بها[3].

فالرثاء لا يستدعي الوقوف على الأطلال هو الاخر ،و الشاعر ها هنا قد سمت نهج الأقدمين مناديا بصيغة المثنى "الصاحبين الذين تكثر الاشارة اليهما في الشعر كثرة مفرطة، فكأن كثيرا من شعائر الحياة لا تتم الّا بهما في شعر الأطلال و الظعن "[4]

و لشاعر مجهول اخر مقطوعة صور فيها حضارة تيهرت الزائلة يقول فيها:

سقى الله تيهرتالمنى و سويقة بساحتها غيثا يطيب به المحل

كأن لم يكن و الدّار جلمعة لنا و لم يجتمع وصل لنا لا ولا شمل

فلمّا تمادى العيش و انشقت العصا تداعت أهاضيب النوى و هي تنهل

سلام على من لم تطق يوم بيننا سلاما و لكن فارقت و بها ثكل

وماهي اماق تفيض دموعها ولكنها الأرواح تجري و تنسل[5]

عرّج الشّاعر راثيا مدينة تيهرت و ذاكرا أهلها و أيامها البائدة ، و يبدو أنه لم يعايش الأحداث التي عصفت بها بل يصف اثارا خلّفتها هذه الأحداث، و هو يبكي المدينة و الخليلة معا[6] ، و يتلاعب بالألفاظ ويقلب الأفكار محمّلا الديار التحية ، عائدا بالدهن الى المكان المتروك و المنزل المهجور بتيهرت الذي تغمره الذكرى الممضة ،

[1]المرجع السابق ، ص59

[2]ينظر:بناء القصيدة المغربية في فجر الدولة العلوية :د.عبد الجواد سقاط-منشورات كلية الأداب و العلوم الانسانية بالمحمدية-ط1-الدار البيضاء-2004-ص104.

[3]ينظر:النص الشعري و مشكلةالتفسير:د.عاطف جودة نصر-مكتبة لبنان ناشرون-الشركة المصرية العالمية للنشر-ط1-1996-ص29.

[4]شعرنا القديمو النقد الجديد :د.وهب أحمد رومية-سلسلة عالم المعرفة-المجلس الوطني للثقافة و الفنون-العدد207-الكويت-1996-ص219.

[5]الادب الجزائري القديم(دراسة في الجذور):د.عبد المالك مرتاض-دار هومة للطباعة و النشر-ط1-الجزائر-2001 /دط-2005-ص243.

[6]تاريخ الجزائر قديما و حديثا: مبارك الميلي ، ص34.

عودة الى ماض حبيب و وجوه مألوفة ، و محاولة لاسترجاع الزمن المسروق ، و ندب للأمس الدّابر، و لعلّ حضور صورة المرأة في تذكّر الدّيار يستدر العطف و يشيع الحزن و يؤكد عامل الضياع،فالتشوق للماضي و أماكنه شكل من أشكال التمسك بما لا يطال .[1]

رثى بكر بن حمّاد مدينته تيهرت قائلا :

زرنا منازل قوم لم يزورونا ان لفي غفلة عمّا يقاسونا

لو ينطقون لقالوا : الزاد و يحكم حلّ الرّحيل فما يرجو المقيمونا

الموت أجحف بالدنيا فخر بها و فعلنا فعل قوم لا يموتونا

فالان فابكوا فقد حقّ البكاء لكم فالحا ملون لعرش الله باكونا

ماذا عسى تنفع الدنيا مجمعها لو كان جمع فيها كنز قارونا

فالشّاعر كعادته يحشد العبارات الزهدية و يرى بأن خراب المدينة شاهد على خراب الدنيا ، و قد أحجم عن ذكر اسمها حتّى يخيل للدّارس أن المقطوعة زهدية ، و هي مفعمة بالعاطفة الجيّاشة ،"خاصة أن خراب المدينة تزامن مع مقتل ابنه عبد الرحمان، و الشاعر في اخر أيام حياته "[2].

و الملاحظ أن رثاء تيهرت كان عبارة عن مقطوعات مقتضية و ليست قصائد مطوّلة ، تصف الأحداث ، و تستنهض الهمم و هو يخلو من تقريع الأعداء ،"و لعل ذلك يرجع الى سقوط المدينة المبرم، حيث لا أمل في عودتها الى سابق عزّها ، ممّا جعل الشعراء يعرضون عن ذكر أسمائهم، و كانت أشعارهم عبارة عن تعزية و تسلية للنفس لا غير"[3]

5–رثاء مدينة الجزائر و ذكر ما ألمّ بها :

[1]الغزل العذري :د.يوسف اليوسف –دار الحقائق للطباعة والنشر –د.ط-بيروت-1982-ص43 .
[2]موسوعة ارشاد الحائر الى اثار ادباء الجزائر: د.محمد بن رمضان شاوش –ود.الغوثي بن حمدان-ط1-1422/2001م-م1-ج1-ج2-ص173
[3]النزعة الأخلاقية في الشعر الجزائري القديم : اعداد سيدي عبد الرّحيم مولاي البوذخيلي–رسالة ماجيستير-اشراف أ.د.محمد مرتاض –ص37.

يسجل لنا تاريخ الأدب الشعبي أنه بعد سقوط العاصمة الجزائرية في 5 جويلية 1830م ، فان الشعر الشعبي كان أول من بكاها و سجل مأساتها بدمعة سخية و زفرة ملتهبة ، و شنع بالغطرسة التركية التي تستأسد على الشعب و تستونق في وجه الغزاة .[1]

و كان عبد القادر الوهراني هو أوّل شاعر بكى عاصمة الجزائر لما سقطت بأيدي المحتلين ، و كان شاعرا شعبيا ، سجل لنا ذلك في قصيدته المطولة التي تبلغ أكثر من مائة بيت ، و هي "دخول الفرنسيس"[2] و هي من عيون الشعر الشعبي الجزائري انها "قصيدة طويلة نضمت بالملحون فموضوعها ثم رواجها بين الجماهير طيلة ليل الاستعمار يجعلانها و صاحبها مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجداننا " ، يقول أبو القاسم سعد الله عن هذه القصيدة : " ان قصيدة –رثاء الجزائر–للشيخ عبد القادر الوهراني وثيقة تاريخية هامة ، و هي ليست مجرّد وصف و سرد للأحداث التي جرت نتيجة للاحتلال ، و لكنها مفعمة بالمشاعر الانسانية العميقة ، فالرجل لا ينطلق من دوافع شخصية ، و لكنه قد انطلق من غيرته على الوطن و الدّين و التراث و القيمة التاريخية لمدينته و اثارها، و لذلك يجب أن تدرس هذه الوثيقة في مدارس و جامعات في مواد التاريخ و الأدب و الاثار و هي دليل على أن الأدب الشعبي الصّادق يظل خالدا رغم مرور الزمان".[3]

فهذه شهادة من شيخ المؤرّخين الجزائريين تثبت لهذه القصيدة العصماء مكانتها التاريخية التوثيقية فضلا عن مكانتها الأدبية .

و نظرا لمكانتها الرّفيعة فب عالم الأدب الشعبي الجزائري فانّ عبد المالك مرتاض يرى :"بأن كتب التاريخ لا تستطيع أن ترصد الأحوال التي الت اليها الجزائر بعد احتلال مدينة الجزائر ، فالشعراء وحدهم هم الذين يتسطيعون ذلك ، فهم حقّا لا يذكرون الأعداد و الأحداث و الأزمنة الدّقيقة ، و لكنهم يستطيعون ذكر زبدة ذلك و هم صادقون"[4]، و قد جاءت هذه الزبدة في قصيدة الوهراني : "فوفق توفيقا تفرّد به وحده في غياب أي قصيدة ترقى الى مستوى قصيدته صدقا و فنّا"[5] . هذه القصيدة مؤلفة من أكثر من مئة بيت كما ذكرت انفا ، و هي :"تحتوي على تسجيل لمختلف الوقائع و تحديد للأيام و للأماكن و تصوير للوقائع و للواقع النفسي الذي

[1]د.صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،د.ت،ص21.
[2]هو من أعيان مدينة الجزائر، و لم نعثر على ترجمة له
[3]مجلة امال:ع68،ط2،سنة2000 للعدد 4 سنة 1969،عدد خاص بالشعر الملحون، ص91-96.
[4]د.أبو قاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج1830،8-1954،دار البصائر،الجزائر،ط2007،ص338.
[5]د.عبد المالك مرتاض:أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ،1830-1962،سلسلة منشورات المركزالوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثوؤة أوّل نوفمبر 1954-2003،ص85.

عاشه سكان الجزائر العاصمة أيام الغزو".[1] و الملفت في هذا القول ، أن القصيدة صوّرت الواقع النفسي لسكان الجزائر العاصمة ايام الاحتلال الاولى ، و ان تفرّد التاريخ بذكر الوقائع فقط "، و القصيدة و ان كانت في رثاء مدينة الجزائر فانّها في الحقيقة رثاء لكل الجزائر ، لأنّ ما وقع في العاصمة في أوّل الأمر وقع مثله في غيرها بعد ذلك"[2] و يرجح سعد الله أنّها" قيلت بعد الاحتلال بقليل، أي بعد استلاء الفرنسيين على المدينة و جلاء معظم أهلها عنها و تعطيل المدارس و المساجد و هجرة العلماء و الطلبة و الاستحواذ على الخزينة".[3]

يصف لنا الشاعر احتلال الجزائر–المدينة– فيصوّر لنا لوعة الحزن و الأسى التي عمّت البلاد، بعد أن كانت "مزغنة" سيدة البحار ترهبها الأجناس و تخشى بؤسها الأمم" كما يشير الشاعر الى أنّ قواة الاحتلال كانت أكثر عددا و عدّة من الجيش الجزائري ، و قد كان عدد السفن لا يحصى ، يضاف الى هذا أن الفرنسيين كانوا عازمين على احتلال الجزائر ، و اذلالها ، و أن كل تقديرات الأتراك لمواجهة قوة الغزو و صدّها كانت تقديرات خاطئة حيث لم تضع في اعتبارها عدد القواة المسلّحة التي جنّدتها فرنسا لاحتلال الجزائر[4] ، يقول :

الأيام يا اخواني تبدل ساعاتها و الدّهر ينقلب و يولي في الحين

بعد كان سنجاق البهجة ووجاقها الأجناس تخافها في البر بحرين

امنين راد ربي و وفى ميجالها و اعطاوها اهل الله الصالحين

الفرنصيصحركلها ،واخذاها لا هي مياه مركب لا هي ميتين

بسفاينه يفرص البحر قبالها كي جا من البحر بجنود قويين

غاب الحساب و ادرك و تلف حسابها الروم جوا للبهجة مشتدين

راني على الجوائر يا ناس حزين[5]

[1] المرجع نفسه ، ص ن

[2] د.عبد الحميد بورايو :البطل الملحي و البطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998،ص23.

[3] د.أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 335-336.

[4] د.أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي ، ص36.

[5] د.التلي ابن الشيخ:دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، 1830-1945،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983، الملحق الشعري ،ص111.

هذه القصيدة : "أشاعها الرواة المحترفون. المداحون. في مختلف المناطق التي طالتها يد الغزو العسكري الفرنسي ، و كانوا حسب ما يذكره من سجلوا هذه القصيدة و علقوا عليها بلحون في انشادهم على المقاطع التي تحرض على الجهاد ...

و يشير هؤلاء المعلّقون و من بينهم بعض الأوربيين الى أن هذه القصيدة سلمت فعلا في اضرام نار الثورات كثورة ابن زعمون سنة 1930م و ثورة مليانة سنة 1851م"[1] و عن الرواة و المدّاحين ، أخذ الشعب يردّدها و يتناقلها عبر الأجيال ، لأنها تعتبر وثيقة تاريخية سجل فيها الشاعر أهم الأحداث التي تلت الاحتلال واصفا حالة الأهالي و جبروت المحتل و قساوته، و نظرا لهول الأحداث المتلاحقة ، لم يكن أبدا يتصوّر أنّ الجزائر سيّدة البحر المتوسّط تسقط بهذه السّهولة فأين هي الجزائر التي كانت الأجناس تخافها في البرّ و البحر و من جهة البحر قاع الناس تخافها و برج الفنار منوكيمضعورين و بين جزائر تحت نيل الاحتلال التي زال الكلام عنها يا مسلمين. فالشاعر يسأل و يقارن الجزائريين الأمس و اليوم ،بين أيام العهد العثماني و عهد الاحتلال ، و لكن لا من مجيب.كما يشير الشاعر الى أن اليهود الذين كانوا يعيشون في ظلها امنين، فرحوا لاحتلالها و نكبتها–حتّى اليهود فرحوا لينا و انساهم الكلاب تزغرت—بل كانوا هم السبب في احتلالها و ذلك بسيطرتهم على التجارة الخارجية ، و قصّة الديون التي كانت للدولة الجزائرية عن الحكومة الفرنسية و كذلك قصّة المروحة المعروفة.[2]

و يرى الشّاعر أنّ دخول القواة الفرنسية الغازية عن طريق–سيدي فرج– كان أمرا لا بدّ منه ، بعدما درسوا كلّ المنافذ قبل الغزو المؤدية الى الدّخول[3] و هذا خوفا من قواة المدافع الجزائرية التي كانت منصوبة في برج الفنار —برج المراقبة– و مصوبة نحو البحر استعدادا لأي طارئ، و هجوم أي محتل.

لأن كل الغزاة السابقين تحطّموا على صخرته، و لذلك عدل الفرنسيون على الدّول من ناحيته و اختاروا مضطرين —سيدي فرج– كمدخل امن .

و رغم قوة المحتل المتمثلة في كثرة العدّة و العتاد، سفنه الحربية كانت تغطي البحر و الجيش الذي يغطي الشعاب و السهول كالجراد ،قدّر بأكثر من ثلاثين ألف جنديا ، فقد هبّت القواة الجزائرية للدّفاع عن الوطن و حمايته، و ابتلى الرّجال ففضل الأبطال الموت على الحياة الدليلة تحت نير الاستعمار. يقول الشاعر :

[1]د.عبد الحميد بورايو: البطل الملحي و البطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري،ص24.
[2]مجلة أمال ، عدد خاص بالشعر الملحون، ص 91-96.
[3]المصدرنفسه ، ص ن .

الكلب غير رقب للمرصى شافها شاف المدافع لوجهه منصوبين

من جهة البحر قاع الناس تخافها برج الفنار منه كي مضعورين

برم سفاينه و تقدم قدامها في سيدي فرج نزل دا لعين

اسواحل البحر تحكي لك خطواها الأوطان و السهل ثم شعاب اخرين

لم المحال في يوم السبت وجابها راحوتزوجو مع حورات العين[1]

الى أن يقول :

حتّى اليهود فرحوا لينا و نساهم الكلاب تزغرت

أغلاششايعةمزغنا حتّى النسا معنا حزنت [2]

و لم يرض الشاعر عن هذه الهزيمة المؤسفة و احتلال العاصمة بهذه السهولة ، فهذا أمر غير متوقّع .اذ كيف يهزم جيش–"دانت له الأساطيل القوية ، و فرض ارادته على قراصنة البحار حقبة طويلة أن يهزم في ثلاثة أيام، وهو أمر يكاد لا يصدّقه الشّاعر ولا غيره"[3]

و هذا ما جعله ينقل لنا هول الماساة كشاهد عيان عاش احداث عن كثب :

كي جاز على سطاوالي بطبول والعساكر و السنجاقين في الليل راحت الروم ضربت طنبورها والمومنين تبكي يا مسلمين البعض راح والبعض صبر لطرادها شدوه في الجناين نحو اليومين المومنين هامت و خلات اوطانها اتفرقوا على البلدان مساكين من درى على الجزائرو على تحصانها وعلى وجاقها نزلت فيه العين[4]

ثم يتأسف الشاعر على ضياع الجزائر و خراب قصورها و قلاعها و صوامعها وعلى انقطاع قراءة القران فيها والعلم في المدارس والمساجد والزوايا ، وعلى هجرة العلماء ومغادرة الطلبة مجالس العلم ، كما تاسف على المعابد التي

[1]المصدر السابق ، ص ن .
[2]المصدر نفسه، ص ن .
[3]المصدر نفسه ، ص ن .
[4]لمصدر السابق ، ص ن

داسها المستعمر بقدميه ، وعلى نبشه لقبور المسلمين ، كما تاسف على مصير الفقهاء والقضاة و الحزابين ن وعلى تحفها الثمينة وديارها يقول :

حسراه وين دار السلطان وناسها صدوا وجاواليها وجوه اخرين

حسراه وين بايات مع قيادها يا من درى على ذوك القصباجين

حسراه على السراية وعلى حكامها وعلى مواضع الحكم المعزوزين

حسراه على المفاتة وعلى قضاتها علمات البلاد مصابح الدين

حسراه على الجوامع وعلى خطابها ومنابر الرخام اللي مرفوعين

حسراه على الصوامع وعلى اذانها وعلى ادرساها ثم الحزابين

حسراه على المساجد غلقت بيبانها ضحاوا اليوم يا سيدس منسيين

حسراه وين تحفاتها و وين ديارها وين البيوت وغرف المحصنين[1]

و خاطب اخوانه المسلمين باحياء فريضة الجهاد للدفاع عن الوطن السليب ، و رغبهم في الجنة و حور العين، واعتبر من مات قد استراح ، واما الحي فهو الذي بقي يواجه المحن ، واستجاب الشعب لنداءه و قامت بعده مقاومات ، اخرها ثورة الفاتح نوفمبر الخالدة ، التي كانت فعلا : "ثورة شعبية بكل احداثها ووقائعها و قد استقطبت معظم الطبقات الشعبية من الشمال الى الجنوب و من الشرق الى الغرب في وحدة وطنية متكاملة"[2] ، اسفرت عن الاستقلال الذي تنعم به اجيال اليوم ، يقول ابو القاسم سعد الله : "حقا ان الشعر الشعبي قد سجل كثيرا من الحوادث السياسية والعسكرية ، كما كان سجلا للنبض الاجتماعي والاقتصادي في البلاد ، و بذلك يمكن القول من الناحية التاريخية انه كان اشمل واقرب الى الحقيقة من الشعر الفني ، فبينما كان الشعر الفني شعر بلاط او شعر نفس مهزومة ، او شعر مدائح نبوية ونحوها ، كان الشعر الشعبي يدون ما يجري في جميع المستويات تقريبا ، و يصف ردود الفعل بالة تسجيل امينة " .[3] و الذخيرة الهائلة من القصائد الشعبية التي دبجها الشعراء

[1]انظر: فيليب لوكا جون كلود فاتان :جوائرالأنثروبولوجيين–نقد السوسيولوجياالكولونيالية ،ترجمة محمد يحياتن ،بشير بو لفراق،وردةلبنان،منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال،2002،ص

[2]المصدر السابق ، ص ن .

[3]د:التلي بن شيخ ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة ، ص482-486.

الشعبيون ، و هي الان مبثوثة في مختلف المصادر ، شاهدة على ذلك . فهي تكون لنا حقيقة ذخيرة ادبية ، لا يمكن باي حال من الاحوال الاستغناء عنها في معرفة ماضي الجزائر الادبي والشعبي طيلة ليل الاستعمار البغيض .

6-رثاء مدينة عنابة و ذكر ما ألمّ بها :

"بونا" هو الاسم القديم لمدينة عنابة حاليا ، تقع في الشرق الجزائري، و على ساحله، أسسها الفينيقيون و عاشت فترة من الزمن كمركز تجاري مطل على البحر الأبيض المتوسط ثم استولى عليها ملوك النوميديا و حين هوزم (يوغرطة) سنة (105 ق.م) ، ضمت المدينة و أراضيها الى ما يسمى بولاية افريقية الرومانية . ازدهرت بونا بعدما أصبحت من أهمّ المراكز الدينية المسيحية (مقر الأسقفية) و بعد انتشار المسيحية في ربوعها ، ثمّ فتحها من طرف المسلمين في سنة (78هـ) ، و قد تطوّر اسمها من هيبون الى بونة ثم الى عنابة و نعتت بمدينة العناب[1] كما اشتهرت بقبر القديس أوغسطينوس .

و قال العبدوي في رحلته : " ثم وصلنا الى مدينة عنابة بونة، فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة ، مبسوطة الوسيط و لكنها بزحف النوائب مطويّة مخبونة"[2]

ثمّ قال في موضع اخر : " صادفنا وقت المرور بها زورقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا و قد حصروا البلد حتّى قطعوا عنه الدّخول و الخروج "[3]

و بهذه الكلمات الأدبية الأنيقة ، و هذه العبارات المسجوعة العتيقة يشير الرحّالة العبدوري الى ما قاسته المدينة من مصائب ، و ما عاناه أهلها من ظلم و اضطهاد خلال الغزو المسيحي في تلك الرّبوع، و قد تعدّد السكّان ، و نالوا من الأذى و الهوان ما ليس عليه من مزيد :حتّى بكاها القاصي و الدّاني و تصدّى شعرائها الى عرض مأساة وطنهم الجريح وبلدتهم المكنونة.

و من بين الشخصيات العظيمة التي تألّمت كثيرا لما ألمّ بهذه المدينة نجد الفقيه المحدث و العالم الشاعر: أحمد بن القاسم بن محمد بن ساسي التميمي ،و كنيته: أبو العبّاس.ولد ببونة سنة (1063-1139هـ) (1653-1726م) ، و نسب اليها فقيل : أحمد البوني ، و المدينة معروف اليوم ب (عنابة) .

[1]اسماعيل العربي ،مدن مغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984، ص196.
[2]محمد بن محمد العبدري،رحلةالعبدري المسماة: الرحلة المغربية،تحقيق و تقديم و تعليق: محمد الفاسي جامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، المغرب،1968،ص37.
[3]المصدر نفسه، ص ن .

و من أجمل الأشعار التي قالها "أحمد البوني و قد عنى بذلك الأرجوزة التي بعث بها الشاعر الى محمد بكداش[1] مهنئا اياه بفتح مدينة وهران التي كانت ترزح تحت نير الاسبان ،و في الوقت نفسه لفت نظره الى حال مدينة (بونة) التي بكاها كلّ وطني غيور على بلده.و مما جاء في تلك البكائية :

يا حاكم الجزائر يا أنس نفس الزّائر

أريد أن أخبركم أدام ربي مصركم

بحال هذه القرية بالصّدق لا بالفرية

قد صال فيها الظالم و هان فيها العالم

خربت المساجد و قل فيها السّاجد

والشّرع فيها باطل و الظلم فيها هاطل

والخوف في سبلها و القحط في سنبلها

وكم من القبائل وكم من البضائع

يضيق عنها النظم وخار منها العظم [2]

المبحث الرابع :نقد المدينة و هجاؤها

نشير في البداية الى قلة هجاء المدن و ذمّها فلا نكاد نعثر الّا على أبيات يسيرة في هذا النوع .

يعتبر الهجاء غرض من أغراض الشعر، و هو فنّ يتّصل بالحياة الاجتماعية ، بما تتضمنه من قيم و تقاليد و عادات ، ففيه نجد الشاعر يدافع عن قبيلته و عن شخصه حيث نرى الشّاعر يرسم بخصومه النموذج القبيح ، فيصفهم بكلّ صفات القبح ، و يسلبهم كلّ الصفات الفاضلة ، أو بعضها . و من بين الشعراء الذين هجوا سلاطين و ملوك تلمسان، نجد ابن الأحمر و هو سجل تاريخي لأنساب المرينيين و وقائعهم القاضية بني زيان[3]

[1]محمد بكداش: أصله تركي ، ارتقى الى منصب "باشا الجزائر" في العهد العثماني .
[2]محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكدشية في البلاد الجزائر المحمية، ش و ن ت ، الجزائر ، ط2 ،1981، ص128
[3]ابن الأحمر:اسماعيل بن يوسف بن محمد:نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان،تحقيق: محمد رضوان الداية ،بيروت،دار الثقافة،بيروت،لبنان،1967، ص153.

و الهجاء كسائر أغراض الشعر الأخرى لا يتأتى من غير قوّة في اداءه ، لا يكون فيه صدق في الشعور، و يصدر عن فطرة و طبع و بلاغة في الاحساس ، و يتم الهجاء فالشعر، عندما تكون به حاجة في سلب غيره اثر تنازع أو تدفّع ، فيتّخذ من الشعر مسلكا و موجا ، و لاسيما ما ستثيره أسقية الحروب[1] .

1-نقد مدينة تلمسان و هجاؤها :

نذكر نموذج من قصائد الهجاء لابن الأحمد عن سلاطين بني زيان اذا قال عن أبو حمّو :

سكناها ليالي خائفينا و امّا تسوء الناظرين

بناها جدّنا شيخ المعاصي و كنّا نحن شر الوراتينا[2]

فلمّا ان جلانا السيف عنها تركنا لقوم غالبينا

و الواد اشي هو الاخر قد هجى تلمسان ، يقول متضجرا بالسكن بتلمسان :

تلمسان أرض لا تليق بحالنا و لكن لطف الله نسأل القضا و

كيف يحب المرء أرضا يسوسها يهودوفخار ومن ليس يرتضى[3]

2-نقد مدينة تيهرت و هجاؤها :

اختلفت موضوعات هجاء المدن في الأدبين المغربي و الأندلسي ، اذ لم يرتبط الهجاء منذ بداياته الأولى بما ارتبط به الهجاء في المشرق، من عصبية قبلية أدت بالشعراء الى ذم القبائل و الذي كان وثيقة الصلة بنفي الفضائل الأخلاقية عن المهجو و النيل من الأعراض ،أمّا في المغرب فقد اختفت القبلية و صار الفرد أكثر ارتباطا بالمدينة التي ينتمي اليها لذلك توجه هذا التوجه المديني ، و صار يرتكز على قسوة الطبيعة كشدّة البرد، و حر القيظ ، و وعورة المسالك في بعض الأحيان و خاصّة اذا كان الشّاعر من الرحّالة الذين تعوّدوا السّير في أرض الله .

يقول بكر بن حمّاد في "تاهرت" :

[1]عطاطفة بن عودة:موقف النقد الأدبي من الشعر العربي،أطروحةدكتوراه،اشراف:شايف عكاشة، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان،قسم الثقافة الشعبية،2010،2011،ص117.

[2]ابن الأحمر:اسماعيل بن يوسف بن محمد:تاريخ الدولة الزيانيةبتلمسان ، تحقيق:هاني سلامة، مكتبة الثقافة للنشر و التوزيع،2001،ط1،ص80.

[3]أحمد المقري،(دت)،أزهار الرياض في أخبار عياض ، جزء3، دط، فضالة ،ص307.

ما أخشن البرد و ريعانه و أطرف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم اذا ما بدت كأنّها تنشر من تحت [1]

3- نقد مدينة شلف و هجاؤها :

نجد مقطوعة لأحد شعراء تيهرت في هجاء مدينة تنس (شلف) و ذمّها، يقول[2]:

و أصبحت عن تيهرت في دار غربة وأسلمني مرّ القضاء مع القدر

الى تنس ذات النحوس فانّها يساق اليها كلّ منتقص العمر

بلاد بها البرغوث يحمل راجلا و يأوي اليها الذئب في زمن الحر

يرجف منها القلب في كلّ ساعة بجيش من السودان يغلب بالوفر

ترى أهلها صرعى دوى أم ملدم يروحون في سكر و يغدون في سكر

فهو يهجو "تنس" ، بسبب ظروف اجتماعية صرفة تتعلق باحساسه بالاغتراب و بعده عن بلده "تلمسان" ، و سوء الأحوال الاجتماعية و شدّة الحرّ و انتشار البرغوث كأنّه جيش من السّودان ، اضافة الى انتشار افّة شرب الخمر و سكر أهلها ، فالنصّ هنا تعرض الى جانب من مظاهر الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت و يمكن أن نعدّ القصيدة مظهرا من مظاهر النقد الاجتماعي.

يقول الشاعر بن أشكل التاهرتيفي هجائه لمدينة "تنس" أيضا، ناسبا اليها كل منقصة متحاملا عليها بكلّ ألفاظ الهجاء و الذم للبلاد وأهلها على حد سواء[3]:

أيّها السائل عن أرض تنس مقعد اللؤم المصفّى و الدنس

بلدة لا ينزل القطر بها للنّدى في أهلها عرق درس

فصحاء النطق في لا أبدا و هم في نعم بكم خرس

[1] بكر بن حماد التاهرتي ، الدر الوقّاد من شعر بكر بن حمّاد، ص61.
[2] الباروني،سليمان بن الشيخ عبد الله،الأزهر الرياضية، في أئمة و ملوك الأباضية،مطبعةالأزهرالقاهرة،(دت)،الجزء2،ص47-48.
[3] البكري،أبو عبيد،المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب،مكتبها المثنى،دط،بغداد،دت،ص63.

فمتى يلمم بها جاهلها يرتحل عن أرضها قبل الغلس

ماؤها من قبح ما خصّت به نجس يجري على ترب نجس

فمتى تلعن بلادا مرّة فاجعل اللعن دئبا لتنس

خـــــاتـــــمة

بعد الانتهاء من معالجة ما تسنى لنا معالجته في هذا البحث ، توصلنا الى النتائج الاتية :

1- مرّ الأدب الجزائري و خاصّة الشعر القديم بمراحل تتماشى مع الفترات التي مرّت بهم الدولة الجزائرية قديما مع ظهور مجموعة من الشعراء في كل فترة .

2- المدينة هي بيئة الانسان التي يرفض البعد عنها و استبدالها بمكان اخر، و هذا ما تمسك به الشعراء العرب قديما و حديثا .

3- في القديم ،كان يتعلق الشاعر الجاهلي بوطنه و بيئته التي هي حجار صماء لا تعني شيئا بذاتها و لكنّها تعني كلّ شيء له ، أي تعني وجوده و ذاته و ماضيه و ملاعب صباه أي وطنه .

4- برز في الشعر القديم ، شعراء أندلسيين و شعراء عباسيين مما جعلهم يصوّرون البيئة التي يعيشون فيها و البيئة التي ولدوا فيها .

5- اما في العصر الحديث كان يرى الشعراء المدينة بمثابة العالم الغريب خاصّة الذين عاشوا في الريف ثم انتقلوا الى المدينة هنا حدث صراع بين عالمين مختلفين تماما فكانت الثنائية التي شكلت محور الصّراع الرئيسي و هذا ما دارت حوله جلّ القصائد التي تناولت موضوع المدينة .

6- اثر موضوع المدينة على الشعر الجزائري القديم بعدة اغراض منها : التغني و الثناء ، الشعور بالغربة و الحنين ، الرثاء ، الهجاء .

7- كانت المدينة كيانا داخل الشاعر يحبها في حال الوفاء ، و يبكيها ان وقع بها مكروه اي كانت المدينة تمثل عنده المراة المحبوبة التي تمكن حبها من قلبه فعشقها حتى النخاع .

8- اخذ موضوع المدينة في الشعر الجزائري القديم قسطا وافرا من الشوق و الحنين ، و من ابرز الشعراء الذين استخدموا هذا الغرض في قصائدهم : ابن خميس التلمساني ، محمد بن حمّاد .

9- كان رثاء المدينة يتم بالشعر العربي الفصيح أو بالشعر الملحون ،كما تميز بصدق العاطفة، و حرارة الشعور ، و كثرة الحزم .

10- في شعر رثاء المدن الجزائرية القديمة ، اشارات الى العمران و الحضارة .

11-نالت (تلمسان) حصّة الأسد من رثاء المدن في الشعر الجزائري القديم ، فقد بكاها ثلاثة شعراء من أبنائها (ابن الخميس ، ابن المسايب ، ابو حمو) الذين اضطرتهم المحنة الى مغادرتها . و قد بالغوا في تصوير مأساتها .

12- بعض الشعراء الناقدين أرجع سبب هجائه للمدينة الى شدّة قسوة الطبيعة بها .

13- وردت قصائد قليلة في هجاء المدن و الأماكن .

و تظل هناك نتائج أخرى نترك استكشافها للمتلقي الذي قد يضيف اليها ما فاتنا نسيانا أو جهلا ، بيد أن ما نغفله هو أن ثمة تساؤلات بدت لنا و نحن ننفض أيدينا من انهاء هذا البحث ، و التي يمكن أن تعالج في موضوع مستقل مستقبلا أو ضمن مشاريع بحث جماعية .

قائمة المصادر و المراجع

القران الكريم .

معاجم :

1. تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر : العلامة عبر الرحمان بن محمد بن خلدون–منشورات مؤسسة الأعلامي للمطبوعات بيروت –دط– لبنان– 1971–ج6.
2. محمد بن رمضان شاوش–ود.الغوتي بن حماد– موسوعة ارشاد الحائر الى اثا أدباء الجزائر.
3. محمد بن رمضان شاوش موسوعة ارشاد الحائر الى اثار ادباء الجزائر:–ود.الغوثي بن حمدان–ط1–1422/2001م–م1–ج1–ج2–ص173
4. ياقوت الحموي ،معجم البلدان، م4،دار صادر،بيروت،دط،دت.

الكتب :

5. ابراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي : الجزائر نموذجا(1925–1962) .
6. ابراهيم رماني،المدينة في الشعر العربي: الجزائر نموذجا(1925–1962) .
7. ابراهيم رماني،المدينة في الشعر العربي،الجزائر نموذجا(1925–1962) ، دار هومة ، الجزائر ، 2001.
8. احسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة،الكويت،1978.
9. أحمد المقري ، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2،ج3،طبعه و حققه و علق عليه : مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة فضالة، دط، دت.
10. أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
11. أزهار الرياض، أحمد بن محمد المقري ، ج2، مطبعة فضالة–المحمّدية–د.ت..
12. أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني،مؤسسة الوراق،عمان،2007.
13. بحاز ابراهيم : عبد الرحمان بن رستم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
14. بسام العسلي،جهاد شعب الجزائر–الجزائر و الحملات الصّليبية–دار النفائس،بيروت،ط1400،1هـ–1910م،ص192–193.

15. بسام العسلي،جهاد شعب الجزائر–الجزائر و الحملات الصّليبية–دار النفائس،بيروت،ط1، 1400هـ–1910م،ص.193.
16. بكر بن حماد التاهرتي ، الدر الوقاد ، تقديم و جمع و شرح محمد بن رمضان شاوش، ط1،المطبعة العلوية،مستغانم،1966.
17. بكر بن حماد التاهرتي، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، جمعه و شرحه: محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم،ط،1966.
18. بهجت عبد الغفور الحديثي، دراسات نقدية في الشعر العربي ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2004.
19. التلي ابن الشيخ:دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، 1830–1945،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983، الملحق الشعري .
20. الحسن علي بن محمد،وقد ذكره البلوي بأنه المشهور بالحمى و لكن الصّحيح هو المشهور باللخمى و هو علي بن محمد الربعي، أبو الحسن المعروف باللخمى،فقيه مالكي له معرفة بالأدب و الحديث،قيروانيالأصل،نزلسفاقس و توفى بها، له تعليق كبير على المدونة في فقه المالكية سماه التبصرة أورد فيه اراء خرج فيها عن المذهب، وله كتاب فضائل الشّام .علي بن محمد التمكروتي:النفحة المسكية في السفارة التركية / أدب الرحلات،حققها و قدّمها محمد الصالحي مغربي،ط2007،1،دار السويدي للنشر،أبوظبي ،البلوي،هي الدروع الأمامية.
21. حسين عبد الحميد، دراسة في علم الاجتماع الحضري،ط5،المكتب الجامعي، الحديث، الاسكندرية،1989.
22. حسين نصار، معاجم على الموضوعات، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985.
23. خميس شعره و نثره :د.طاهرتوات .
24. الخير تيجيني مظاهر الحنين في شعر الشاعر القروي(رشيد سليم الخوري)الحنين الى الوطن أنموذجا .أنتريولوجيا الفكر و الأدب.
25. رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1986، ط2.

26. الرّاشدي ابن سحنون،2013،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تحقيق: س المهدي البوعبدلي،طخ،الجزائر،دار المعرفة العالمية.

27. الزيانيمحمد بن يوسف،2013،دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران،تحقيق المهدي البوعبدلي، ط خ ، الجزائر ،دار المعرفة الدولية .

28. شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي"عصر الدول و لامارات:الجزائر،المغربالأقصى ،موريتانيا،السودان"،ج10، دار لمعارف،القاهرة،ط،1995

29. صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،د.ت.

30. عبد الجواد سقاط، بناء القصيدة المغربية في فجر الدولة العلوية ،منشورات كلية الأداب و العلوم الانسانية بالمحمدية–ط1–الدار البيضاء–2004.

31. عبد الحميد بورايو :البطل الملحي و البطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998.

32. عبد الحميد بورايو: البطل الملحي و البطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري.

33. عبد الرحمان منيف ، الكاتب و المنفى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2001.

34. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت، د..ت

35. عبد الله حمدي، دراسات في الادب المغربي القديم،دار البعث، ط،1986.

36. عبد المالك مرتاض ،الادب الجزائري القديم: دراسة في الجذور، دار هومه.

37. عبد المالك مرتاض:أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ،1830–1962،سلسلة منشورات المركزالوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثوؤة أوّل نوفمبر 1954–2003.

38. عبد المالك مرتاض، الادب الجزائري القديم(دراسة في الجذور):د. –دار هومة للطباعة و النشر–ط1–الجزائر–2001 /دط–2005.

39. عبد الوهاب بن منصور،المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس ، مطبعة ابن خلدون، تلمسان،ط1365،1.

40. علي عشري زايد ، قراءات في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ،القاهرة،1998.

41. الغزل العذري :د.يوسف اليوسف –دار الحقائق للطباعة والنشر –د.ط–بيروت– 1982.
42. أبو القاسم سعد الله ، أشعار جزائرية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1988.
43. أبو قاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج1830،8–1954،دار لبصائر،الجزائر،ط2007،ص338.
44. قرطي خليفة ، المدينة في الرواية الجزائرية العربية (مذكرة ماجستر)، جامعة الجزائر،1995.
45. مبارك الميلي،تاريخ الجزائر القديم و الحديث،ج2،التقديم و التصحيح:محمد الميلي،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،دط، 1976.
46. مجهول.(دت.زهر البستان في دولة بني زيان.دط.تلمسان) .
47. محمد ابراهيم الحور ، الحنين للوطن في الشّعر العربي ، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).
48. محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
49. محمد الطمار،الأدبالجزائري،تقديم:عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،دط،2007
50. محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
51. محمد بن ميمون الجزائري ،التحفة المرضية تقديم و تحقيق الدكتور محمد عبد الكريم الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،ط1،الجزائر،1977. (المقامة الثانية) .
52. محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،1999.
53. محمد محمود ، الحداثة في الشعر العربي المعاصر: بيانها و مظاهرها ، الشركة العالمية للكتاب ، يبروت،1996.
54. مختار حبّار، شعر أبي مدين التلمساني،مطبعة اتحاد كتاب العرب،دمشق،2002.
55. مختار علي أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة، الكويب،1995.

56. المغرب العربي تاريخه و ثقافته:د.رابحبونار–الشركة الوطنية للنشر و التوزيع–ط2–الجزائر–1981–.

57. المنتخب النفيسمن شعر ابن خميس :عبذ الوهاب بن منصور، ص 114، ط1 ،مطبعة ابن خلدون تلمسان، 1365 ه.

58. مؤلف مجهول،زهر البستان في دولة بني زيان"السفر الثاني 760ه–764ه 1359–1363م"، تقديم:محمد بن أحمد باغلي،الأصالة للنشر و التوزيع ،تلمسان،طبعة خاصة، 2011.

59. النص الشعري و مشكلةالتفسير:د.عاطف جودة نصر–مكتبة لبنان ناشرون–الشركة المصرية العالمية للنشر–ط1–1996.

60. وهب أحمد رومية، شعرنا القديمو النقد الجديد :د. –سلسلة عالم المعرفة–المجلس الوطني للثقافة و الفنون–العدد207–الكويت–1996.

61. يحيى الجبوري ،الحنين في الشعر العربي–الحنين الى الأوطان–ط1–الأردن، دار مجدلاوي،2008.

62. يحيى بوعزيز.(2009.المساجد العتيقة في الغرب الجزائري.طبعةخاصة.دار البصائر.

مذكرات جامعية :

63. النزعة الأخلاقية في الشعر الجزائري القديم : اعداد سيدي عبد الرّحيم مولاي البوذخيلي–رسالة ماجيستير–اشراف أ.د.محمد مرتاض .

مجلات :

64. مجلة امال:ع68،ط2،سنة2000 للعدد 4 سنة 1969،عدد خاص بالشعر الملحون،

مواقع إلكترونية :

www.google.ae.2007

مراجع أجنبية :

Henri,Léonfey,histoire d’Oran avant ,et pendant et après la domination espagnol ,typogrephieadolpheperrier éditeur, Oran,1858,P 13

الفهرس

البسملة	
الشكر	
الإهداء	1
مقدمة	4
المدخل	2
الفصل الأول دلالة المدينة ورمزيتها في الشعر الجزائري القديم	
المبحث الأول : المدينة في الشّعر العربي القديم	
1/ الشّاعر العبّاسي و المدينة	24
2/ الشّاعر الأندلسي و المدينة	25
المبحث الثّاني : المدينة في الشعر العربي الحديث و المعاصر	29
الفصل الثاني دلالة المدينة ورمزيتها في الشعر الجزائري القديم	
المبحث الأول : التغني بالمدينة و الثناء عليها	38
1- التغني بمدينة وهران	38
2- التغنّي بمدينة تلمسان	41
3- التغنّي بمدينة تيهرت	44
4-التغني بمدينة بجاية	45
5- التغني بمدينة المسيلة	46
6-التغني بمدينة الجزائر	48
7- التغنّي بمدينة معسكر	49
المبحث الثّاني : الشعور بالغربة و الحنين الى المدينة	49
1- الشعور بالغربة و الحنين الى مدينة تلمسان	50
المبحث الثالث : رثاء المدينة و ذكر ما المّ بها	60
1-رثاء مدينة تلمسان و ذكر ما ألم بها	60
2-رثاء مدينة وهران و ذكر ما ألم بها	64
3-رثاء مدينة بجاية و ذكر ما ألم بها	65
4-رثاء مدينة تيهرت و ذكر ما ألم بها	67
5-رثاء مدينة الجزائر و ذكر ما ألمّ بها	69

المبحث الرابع :نقد المدينة و هجاؤها	76
1-نقد مدينة تلمسان و هجاؤها	77
2-نقد مدينة تيهرت و هجاؤها	77
3- نقد مدينة شلف و هجاؤها	78
خاتمة	80
الملاحق	
قائمة المصادر و المراجع	